

الأزهر
ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا

د. شوقى عطا الله الجمل



مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر



إشراف: أ.د. يونان لبيب رزق

الأزهر
ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا

د. شوقى عطا الله الجمل



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٨

تقـــديم

« الأزهر منارة » .. توصيف شاع بين جموع المؤرخين الذين تناولوا دور الأزهــر التنويرى ســواء على المســتوى المصرى أم المســتوى العربى أم المستوى الاســلامى ، وهو توصيف فى مكانه بلا مراء .

بيد أن الغالبية العظمى من مستخدمى هذا التوصيف قد عنوا بالأســاس بما قدمه الأزهر للوافدين من شتى أرجــاء المعمورة الاسلامية مما تجسد فى تعدد أروقته التى أوى اليها هؤلاء ، وهم لم يعنوا بنفس الدرجة بالجــانب الآخر من الصورة المتمثل فى ذهاب الأزهر ، متمثلا فى علمائه ، الى تلك الأرجاء .

فقد كان هناك دائما ، وعلى توالى الحقب التاريخية ، من يمكن توصيفهم بفيالق من رجال الأزهر تخرج فى موجات متتالية تؤدى رسالتها المصرية والاسلامية فى التنوير ونشر المعارف فى مناطق كانت فى مسيس الحاجة اليهما .

وهذا العدد من مصر النهضة عن « الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى افريقيا » والذى يسهم به الأستاذ الدكتور شوقى الجمل أستاذ الدراسات الافريقية فى معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة يقدم جانبا من هذا الوجه الآخر من الصورة الذى لم يلتفت اليه المؤرخون بدرجة كافية من قبل .

واذا كان المؤلف ليس غريبا على « مصر النهضة » التى استضافته قبل ذلك فى عددها السابع وكان تحت عنوان « دور مصر فى افريقيا فى العصر الحديث » ، فان اهتمام « مصر النهضة » بعلاقات مصر الافريقية فى العصر الحديث ليس جديدا على القارىء ، فمن بين ثلاثة وعشرين كتابا صدرت من هذه السلسلة عالجت أربعة منها هذا الموضوع من جوانب متعددة .

وكما طوف الأستاذ الدكتور شوقى الجمل فى عمله هذا الذى بين أيدينا .. طوف بنا فى شتى أنحاء القارة متتبعا دور الأزهر فيها فقد كشف فى نفس الوقت عن أسرار جديدة لهذا الدور استخرجها من أضابير الأزهر أو شهادات الرحالة مما يضفى على هذا الكتاب أصالة علمية حرصنا على قدر الامكان على توفيرها « لمصر النهضة » .

وعلى الله قصد السبيل ،،

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مقدمـــة

احتفل العالم الاسلامى والعربى فى عام ١٩٨٢ بالعيد الألفى للأزهر ، والحقيقة أن هـذا الاحتفـال لا ينصب على المبنى الشامخ الذى قاوم الزمن والذى يرتفع اليوم على أرض مصر ترنو اليه الأبصار ـ لكن الأهم من ذلك الدور الضخم الذى قام به على مر العصـور منذ انشائه والذى ننتظر أن يقوم به مستقبلا .

ومهما قيل عن الهدف والأهـداف التى من أجلها أقيم هذا البناء الضخم ـ كما سنذكر ـ فلقد كان تأثير الأزهر ورجاله على مر العصـور عميقا فى تاريخ وحضارة المنطقة كلها والتى وصل اشعاعه ونوره اليها .

ولم يقتصر دوره على الناحيـة الدينيـة وهى التى اهتم بابرازها العلماء والكتاب والمؤرخون ـ لكن كان له دور قوى وفعال فى المجال السياسى والحضارى لا فى مصر والعـالم العربى فحسب بل وفى العالم بأسره وفى القارة الافريقية بصفة خاصة .

وهذا الدور السياسى والحضارى الافريقى هو موضوع هذا الكتاب . ولا يمكن أن يدعى الكاتب أنه غطى كل جوانب هذا الموضوع الضخم فلاشك فى أن الكثير يمكن أن يكشف عنه النقاب ـ لكن لعل هـذا البحث يفتح الطريق لأبحـاث عدة ـ تقوم على الاحصاءات والبيانات الدقيقة وتكشف النقاب عن الجهود الصادقة التى بذلها رجال الأزهر فى صمت وفى تضحية فى أنحـاء كثيرة من القارة الافريقيـة التى كانت ومازالت فى مسيس الحاجة للمزيد من هذه الجهود .

ولا يرمى الباحث من وراء بحثه هذا آن يوفى الذين بذلوا وضحوا حقهم من المدح والثناء ـ بقدر ما يهدف الى أن يدفع لمزيد من البذل والعطاء فالقارة مازالت رغم التقدم البارز الذى حدث منذ الخمسينات من هـذا القرن ـ فى حاجة ماسة للمزيد من جهود وتضحيات أمثال هؤلاء الجنود الذين تدربوا فى ربوع هذا الصرح منذ انشائه فى عام ٩٧٢ م وانتشروا يكافحون الجهل والخرافات والأوهام ، ويدعون الانسان فى كل مكان ليحتل مكانته السامية التى تميز بها عن سائر المخلوقات دون نظر لجنسه أو لونه ويتمتع بحقوقه الطبيعية التى داس عليهـا المستعمرون وجردوه منها .

والله ولى التوفيق

لندن ـ ديسمبر ١٩٨٧

تاريخ الأزهر
منذ نشأته الى اليوم

محتويات الفصـــل :

ــ انشاء الأزهر ، والهدف من ذلك .

ــ مكانتـــه فى العهـــد الفاطمى ، والأموى ، والمملوكى والعثمـــانى .

ــ تطور نظام التعليم فى الأزهر والقوانين التى صـــدرت لذلك :

١ ــ قانون ١٨٨٥ بخصـــوص من يقوم بالتدريس فى الأزهر .

٢ ــ قانون عام ١٨٩٦ .

٣ ــ قانون عام ١٩٠٨ .

٤ ــ قانون عام ١٩١١ .

٥ ــ قانون عام ١٩٣٦ .

٦ ــ القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، ونشاط معهد البحوث الاسلامية ، ومجمع البحوث الاسلامية في ظله .

في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (أبريل سنة ٩٧٠ م) وضع جوهر الصقلي قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي حجر الأساس للجامع الأزهر ، وقد تم بناؤه في ١٧ من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٢٢ يونيو سنة ٩٧٢ م) . أى أن البناء استغرق عامين . ومنذ ذلك التاريخ غدا منارة للمسلمين . ولم يقتصر أثره على الناحية الدينية ، بل كما سنرى انه أصبح قلعة من قلاع العلم والمعرفة يفد اليها الطلاب من شتى الديار والأقطار .

ويقع الأزهر في الجنوب الشرقي من مدينة القاهرة التي بناها جوهر الصقلي على مقربة من القصر الكبير الذي أنشأه المعز لدين الله ونقش على دائرة القبة ما يلي :

« أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين

على يـد عبده جـوهر الكـاتب الصـقلي وذلك فى سـنة ستين وثلاثمائة » (١) ٠

وقد اختلفت الآراء حول تسمية (الأزهر) بهذا الاسم ـ فقيل انه اطلق عليه أول الأمر اسم جامع القاهرة ثم سمى باسمه الحالى نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم والتى ينتسب اليها الفاطميون ، وذهب البعض الى أن هذا الاسم نسبة الى كوكب الزهرة (٢) ٠

وكان بناؤه بهـدف أن يكون مركزا للمنـاداة بمذهب السنة ـ لكن الأمر لم يقتصر على هـذه الناحية فقد أصبح الأزهر من الأركان الرسمية للدولة الفاطمية ٠ فبالاضافة الى الناحية الدينية كان يجتمع فيه الخلفاء بالشعب يوجهون ويأمرون ويتدارسـون فيه المشاكل ٠ وكان جوهر يجتمع فيه بالمسلمين ليعلن لهم الأوامر الصادرة من الحـاكم بخصوص الشـئون التنظيمية للدولة الجديدة ٠ فالهدف من انشائه كان عدة أمور دينية وثقافية ، وتنظيمية اذ يعلن الحاكم الفاطمى فيه اتجـاه الدولة الدينى والسياسى (٣) ٠

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ـ ج ٣ ص ١٨٢ ٠

(٢) محمد عبد الله قاضى وآخرون : الأزهر فى ١٢ عاما (١٩٦٤) ص ١١٠ ٠

(٣) احمـد محمد عوف (دكتور) : الأزهـر فى ألف عـام (١٩٨٢ ، ص ٣٧ ٠

ولقد أسهم الأزهر فى العهد الفاطمى بنصيب كبير فى الحركة العلمية حيث كانت تعقد فيه حلقات لدراسة الدين واللغة ، والأدب ، والقراءات ، والنحو والمنطق والفلك ــ كما كان مركز التعريف ببعض نواحي الحياة الرسمية فى الدولة ، فكانت تعقد به الاجتماعات الهامة وتصاغ الاتفاقيات الرسمية ، كما كان مركز الاحتفالات الرسمية .

وقد استجلب الفاطميون للأزهر خيرة فقهاء وعلماء الشيعة وقضاتها وأغدقوا عليهم المال والعطايا ونقلوا اليه كثيرا من الكتب من مختلف الخزائن ، وشجعوا طلاب العلم من البلاد الاسلامية الأخرى للالتحاق به ، وكانوا بين الوقت والآخر يجرون توسعا فى مبانيه وأروقته ، وخصصوا أموالا ثابته لتنفق على الأزهر وعلى طلابه ، ومنذ ذلك الوقت ونتيجة لهذا الاهتمام ارتبط اسم الأزهر برسالة العلم وأصبح منارة علمية كبرى (٤) .

ولما قامت الدولة الأيوبية على أنقاض الدولة الفاطمية أهمل شأن الأزهر وشجع الأمويون علماء الأزهر على تركه والتدريس فى المدارس التى أسسوها كما أبطلت صلاة الجمعة فيه .

---

(٤) محمد سليمان : دور الأزهر فى السودان (١٩٨٥) ص ١٠

لكن عاد الأزهر للانتعاش فى العهد المملوكى ، وعادت اليه مكانته العلمية . فقد أعاد الظاهر بيبرس خطبة الجمعة بالأزهر ، وأوقف كثيرا من سلاطين المماليك الأموال عليه . وعادت حلقات الدرس التى كانت تعقد فيه ، وعين مشرف لرعاية شئونه ، كما عين له امام يصلى بالناس فيه وتعددت أروقة الأزهر وأصبحت تفد اليه مجموعات من مختلف الأقطار الاسلامية تكل مجموعة منها رواق خاص بها .

وعادت للأزهر فى هذا العهد المملوكى مكانته للأعمال الرسمية ـ فكانت تملى فيه المنشورات العامة والأوامر التى يصدرها الحكام ، كما كانت لرجاله كلمة مسموعة فكان يلجأ اليوم المظلوم يطلب تدخلهم لرفع الظلم عنه ـ كما شغل علماء الأزهر عدة وظائف هامة فى الدولة . وهكذا أصبح الأزهر مركز الحركة العلمية والثقافية والسياسية فى الدولة ، وأصبحت مصر بفضله « أم العالم وينبوع العلم » كما ذكر ابن خلدون وهو أحد العلماء الذين وفدوا لمصر وتولوا التدريس فى الأزهر (٥) .

وأصاب الأزهر فى العهد العثمانى ما أصاب مصر وغيرها من أقطار العالم العربى من ركود فكرى وحضارى اذ ان العثمانيين عمدوا الى نقل أمهات الكتب الفريدة فى مختلف

---

(٥) ابن خلدون فى المقدمة .

العلوم الى الأستانة ـ لكن على الرغم من ذلك فقد ظلت للأزهر مكانته فى علوم الدين ، واللغة .

وقرب نهايــة القرن السابع عشر الميــلادى (١٦٩٠ م) أنشئت وظيفــة شيخ الأزهر وكان أول من أسندت له هــذه الوظيفة الشيخ محمد عبد الله الخراشى (٦) .

ورغم ما أصاب الأزهر فى العهد العثمانى فقد استمر فى رسالته لنشر الثقافة العربية والاسلامية لا فى مصر وحدها بل وفى أقطــار أخرى متعددة . وقد أظهر بعض ســلاطين العثمــانيين احترامهم للأزهر ليكسبوا على الأقل قلوب المصريين الى جانبهم، وليظهر الســلطان العثمانى أمام المصريين بأنه حــاكم مســلم مثلهم ، وهو سنى مثلهم ، ولذلك فهو لا يختلف عنهم فى اظهار احترامه وتقديره للأزهر .

ويقال ان السلطان سليم الأول بعد فتحه لمصر ظل خــلال الشهور الثمانية التى قضاها فيها يتردد على الأزهر ويحرص على أداء صلاة الجمعة فيه ويوزع الخيرات على مجاوريه (٧) .

---

(٦) عنى عبد العظيم : مشيخة الأزهر منذ انشائها حتى الآن (١٩٧٨) ص ٤٤ .

(٧) عبد العزيز الشــناوى (دكتور) : دور الأزهــر فى الحفــاظ على الطابع العربى لمصر ابــان العهد العثمانى ص ٣٨ .

وقد ترجم له المؤلف وعرف به وبمؤلفاته ومكانتــه ـ المرجــع السابق ص ٥١ ، ص ٥٨ .

وقد كان الطـالب يلتحق بالأزهر ـ بعد أن يتعلم القراءة والكتابة وعلوم الحساب وغيره من علوم الرياضة وحفظ القرآن فى المساجد والكتاتيب الملحقة بها والمنتشرة فى مصر •

وكانت الدراسة فى الأزهر على نظام الأروقة ، وقد تعددت هذه الأروقة ـ كما سنشير ـ لكثرة الوافدين على الأزهر طلبا للعلم من مختلف الأقطار العربية والافريقية •

وكان الطلبـة يدرسـون عن شيوخهم علوم التفسـير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والنحو ، والبلاغة ، والفلسفة ، والمنطق • ولم تكن الدراسـة سهلة يسيرة ، ولم تكن حيـاة هؤلاء الدارسين مرفهة ، فقد كان غالبية الطلبة يعيشون حيـاة تقشف فى المـأكل والملبس والفراش ، ويعـانى الفقراء منهم من قسـوة الحيـاة ما لا يحتمله الا راغب فى العلم ومقـدر لمـا يتطلبه ذلك من تضحيات ، فهم يجدون فى طلب العـلم والبذل من أجله سـعادة وطمأنينة ، ويغنيهم ذلك عن متـاع الدنيا وزينتها •

مرت السنون على الأزهر وهو يؤدى رسالته العلميـة هذه ، وأتى اليه الوافدون من مختلف الأقطار طلبا للتتلمذ على مشايخه وأساتذته ، ويزداد عدد الوافـدين يوما بعد يوم ، ويعود منهم من يعود الى بلاده حاملا أضـواء المعرفـة التى

اكتسبها فينشر فى موطنه الأصلى قبسا من هـذا الضوء ويدفع ذلك غيرهم للحضور لمصدر هذه المعرفة . وهكذا أصبح الأزهر كعبة للعلم والمعرفة يحج اليها ويستقر فى أروقتها من يريدون المزيد من العلم والمعرفة .

ولكن الأمر لم يقتصر على هذه الرسالة العلمية والتثقيفية والدينية بمفهومها الضيق فقد ألمت بمصر ــ بلد الأزهر ــ وألم بالمسـلمين وبالعرب فى مختلف أقطـارهم وألمت بالمواطنين فى البلاد الآسيوية والافريقية بالذات آحـداث . ورآى المثقفون والرواد من رجال الأزهر انه ليس من العلم وليس من الدين ولا يتواكب مع المعرفـة التى ينشدها الأزهر ورجاله أن يقف للأزهر ورجاله والذين تثقفوا بين ربوعه وفى أروقتـه موقفهم الأحداث موقف المتفرجين المشاهـدين فحسب ، ومن هنا كان الأزهر رجاله والمثقفون الذين نهلوا من منابع العلم فيه من هذه من الأحداث الهامة التى ألمت بمصر وبالعالم العربى ، وبالمسلمين فى مختلف الأقطار الآسيوية والافريقية فكانت مشاركة الأزهر فى مقاومة الاستعمار والمستعمرين وفى مساندة حقوق المواطنين فى كل هذه الأقطار مضرب الأمثال .

وبرز دور الأزهر حين احتل الفرنسيون مصر ، وفى التعبير عن أمال الشعب والآمه حين استبد الحكام بالأمر منذ عصر

محمد علی ، فكان للأزهر ورجاله دور واضح فى قيادة الحركة الوطنية ضد الاستبداد والاحتلال • وظل الأزهر يلعب دوره القيادى الى يومنا هذا ، وهو ما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد • لكن ما يهمنا هنا هو أن نشير الى التطور الذى طرأ على الدراسة والتدريس فى الأزهر والمراحل التى مر بها لأن ذلك يرتبط ارتباطا وثيقا بالدور الذى قام به الأزهر وأثره الحضارى فى القارة الافريقية بالذات •

كان الأزهر فى البداية يمد المدارس الابتدائية والثانوية فى مصر بحاجتها من المدرسين فقد قام التعليم على أكتاف خريجيه خاصة قبل أن يتطور التعليم فى مصر ويتجه لاعداد متخصصين فى مختلف المجالات •

وكان يقوم بالتدريس فى الأزهر نخبة من المشهود لهم بالعلم والمعرفة وبعضهم كان لهم من الصيت والشهرة ما يدفع بعض طالبى العلم من البلاد المختلفة لتجشم المشاق للحضور لمصر للتزود بالعلم على أيدى هؤلاء العلماء فكان لهم تلامذتهم ومريدوهم الذين يفدون خصيصا للتتلمذ عليهم •

وقد تطور نظام التعليم فى الأزهر وصدرت عدة قوانين للاصلاح نذكر منها :

اولا ــ قانون عام ١٨٨٥ بخصوص من يتصدى للتدريس فى الأزهر :

صــدر هــذا القانون فى مشيخة الامــام الشيخ محمد المهــدى العبــاسى الذى تولى مشيخــة الأزهــر فى عــام (١٢٨٧ هـ ـــ ١٨٧٠ م) فعكف على وضع قانون للتدريس فى الأزهر ، وكان الأمر قبله قائمــا على أن من آنس فى نفســه القدرة على التدريس تصدى له ، فألقى درسا يحضره شيوخه فاذا آذنوا له ظل قائمــا بها . وبالطبع كان هــذا الأسلوب يفتح ثغرات فى الوصول الى منصب التدريب فاندس بين علماء الأزهر من لا يستحق هذه المنزلة (٨) .

ويقضى القانون الجديد بأن يعقد للمتقدم لوظيفة التدريس فى الأزهر امتحــان فى احد عشر علمــا من العــلوم المتداولة بالأزهر وهى : التفســير ، والحديث ، والتوحيد ، والفقــه ، وأصــول الفقه ، والنحو ، والصرف ، والمعــانى ، والبيان ، والبديع ، والمنطق .

فلابد أن يكون المتقدم للامتحان قد درس هــذه المواد بالأزهر وأن يلم بمصادرها ـــ ويتقدم بطلب لشيخ الأزهر يبدى فيه رغبته فى الالتحاق بجماعة العلماء المدرسين ـــ فاذا استوفى شروط التقدم للامتحان يطلب منه اعداد درس فى كل من فنون

(٨) انظر الجبرتى : عجائب الآثار ، ج ٧ ، ص ٣٢٥ ـــ ٣٣٢ ، وكذلك على عبد العظيم : مرجع سابق ، ص ٢٤٣ وما بعدها .

المعرفة المطلوبة ، وتشكل لجنة الامتحان من ستة من أكابر العلماء الموثوق فى علمهم ، وتنعقد اللجنة فى بيت شيخ الأزهر حيث يلقى الطالب الدرس المطلوب ويناقشه العلماء الحاضرون . فاذا اجتاز الامتحان سمح له بالتدريس ، وكان عادة لا يسمح بدخول هذا الامتحان الا لعدد محدود لا يتجاوز عادة ستة فى العام الواحد [٩] .

ثانيا ـ قانون عام ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٦ م :

يرجع الفضل فى وضع هذا القانون الى الشيخ حسونه النواندى الذى تولى مشيخة الأزهر لأول مرة فى عام ١٣١٣ هـ ـ ١٨٩٦ م ، فبادر بوضع قانون لاصلاح الأزهر وعاونه فى هذا الامام الشيخ محمد عبده . ويقوم هذا الاصلاح على أساس ادخال العلوم الحديثة مثل الحساب ، والجبر ، والهندسة ، وعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) ، والتاريخ ـ فى الأزهر ، كذلك وضع القانون شروطا لانتساب الطلبة الى الأزهر .

وأنشأ هذا القانون شهادة تسمى (الشهادة الأهلية) يتقدم اليها من قضى بالأزهر ثمانى سنوات ، ويؤدى امتحانا شفهيا أمام ثلاثة من العلماء برئاسة شيخ الأزهر ، كما أنشأ القانون

---

(٩) على عبد العظيم : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(شهادة العالمية) ويتقدم لها من قضى بالأزهر اثنى عشر عاما على الأقل ويؤدى امتحانه أمام لجنة من ستة من العلماء برئاسة شيخ الأزهر .

وقد شمل هذا التنظيم الذى وضع للأزهر نواحى الادارة والنواحى المـالية ، وغير ذلك من وسـائل الاصلاح المتصلة بالتدريس ، والمناهج والامتحانات .

ثالثا ـ قانون عـام ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م (١٠) :

صدر هذا القانون فى عهد المشيخة الثانية للشيخ حسونه النواندى ، وقد أصبح يدير الأزهر بموجب هـذا القـانون مجلس عال من ستة أعضاء هم مفتى الديار المصريـة ، وشيخ الشافعية ، والمـالكية ، والحنابلة ، واثنان من موظفى الدولة ، ويرأس المجلس شيخ الأزهر .

ونظمت الدراسة فى الأزهر فى ثلاث مراحل أولى ، وثانوية، وعالمية ـ ومدة الدراسـة فى كل مرحلة منها أربع سـنوات ويمنح الطالب فى النهاية الشهادة العالمية .

---

(١٠) لمن يريد تفاصيل هـذه القوانين برجع الى :
حسن النواوى : وآخرون : قانون تنظيم الأزهر .
وكذلك : محمد الطيب النجار (دكتور) : الأزهر الشريف عبر عدة قرون بحث منشور فى منبر الاسلام (مارس ١٩٨٣) .

رابعا ــ قانون رقم ١٠ لعام ١٩١١ :

يعتبر هذا القــانون من أهم القوانين التى اهتمت بتنظيم شئون الأزهر والمعاهد التابعة له والتى افتتحت فى المدن الهامة فى مصر •

وقد حدد هذا القانون اختصاص شيخ الأزهر ، وأنشــأ هيئة للاشراف عليه تحت رئاسة شيخ الأزهر أطلق عليها اســم (مجلس الأزهر الأعلى) ، وأوجد القانون (هيئة كبار العلماء)، وجعل لها نظاما خاصــا ، ونظم شئون موظفى الأزهر من حيث التعيين ، والترقية ، والأجازات ، والتأديب ، كما نظم شروط قبول الطلاب وغير ذلك من الأسس التى تنظم سير العمل • وبعد صدور هــذا القانون تضاعف عدد الطلاب الملتحقين بالأزهر والمعــاهد التابعة له فى العواصم المصريــة حتى قدر عــددهم عام ١٩١٧ م بأكثر من عشرين ألف دارس •

خامســا ــ قــانون ســنة ١٩٢٣ م :

جعل هذا القانون كل مرحلة من مراحل التعليم الابتدائى والثانوى والعالى ــ أربع سنوات وأنشأ بعد المرحلة العالية قسما للتخصص يدخله الطلاب بعد نيل الشهادة العالمية للتخصص فى التفســير والحــديث والفقه والأصــول ــ النحو والصرف والبلاغة والأدب ــ التوحيد والمنطق ــ التاريخ والأخلاق •

سادسا ـ قانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ :

يرجع الفضل فى وضع هـذا القانون للشيخ محمد مصطفى المراغى الذى تولى المشيخة عـام ١٩٢٨ م ، ولكنه استقال فى عـام ١٩٣٠ لخلاف مع الملك فؤاد وحل محله فى مشيخة الأزهر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ، وفى عهده صـدر القانون المشار اليه ، وقد عاد الشيخ مصطفى المراغى الى مشيخة الأزهر ثانية فى عام ١٩٣٥ ، وظل شيخا للأزهر حتى عام ١٩٤٥ .

والقانون الذى صدر عـام ١٩٣٠ خطوة هامة فى طريق الاصلاح ، فقد اهتم بتزويد الدارسين بما هم فى حاجة اليه من العلوم والمعارف الحديثة . وبموجب هـذا القانون أصبحت الدراسة فى الأزهر على أربع مراحل (١١) :

١ ـ المرحلة الابتدائيـة ـ ومدة الدراسـة بها أربع سـنوات .

٢ ـ المرحلة الثانويـة ـ ومـدة الدراسـة بها خمس سـنوات .

٣ ـ المرحلة العالية ـ وقد انحصرت الدراسة فى ثلاث كليات هى كلية أصول الدين ، وكليـة الشريعة ، وكلية اللغة العربية ـ ولكل مناهجها الخاصة بها .

---

(١١) أحمد محمد عوف : مرجع سابق ، ص ١٢٧ وما بعدها ، وكذلك محمد الطيب النجار ، مرجع سابق .

٤ ـ المرحلة التخصصية ـ والتخصص اما :

(أ) تخصص فى الوعظ والارشاد .

(ب) تخصص القضاء الشرعى والافتاء .

(جـ) تخصص التدريس ـ ومدته عامان ، وهو تابع لكلية اللغة العربية ، ويعد الدارس للحصول على العالميـة مع اجـازة التدريس ، ويقوم الخريجون بالتدريس فى المدارس العامة أو فى الأزهر الشريف . وتخصص القضاء وهو تابع لكلية الشريعة ، وتخصص الوعظ وهو تابع لكلية أصـول الدين . وفى جميـع هـذه التخصصات ـ يمنح الدارس شـهادة العالمية مع التخصص فى الفرع الذى درس فيه .

(د) تخصص الفقه ، وأصول الدين ، وتخصص التفسـير والحـديث ، وتخصص التوحيد والمنطـق ، وتخصص التـاريخ ، وتخصص البلاغة والأدب ، وتخصص النحو والصرف ، ومدة هذه الدراسة التخصصية خمسة أعوام.

وبموجب هـذا القـانون انشئت الكليـات الثلاثـة : أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية . وبذلك يعتبر القانون

بداية ميلاد جامعة الأزهر فقد أصبحت الدراسة فى فصول دراسية بدلا من نظام الحلقات وأصبح نظام المحاضرات هو السائد •

ولابد من الاشارة الى أن الأزهر منذ انشائه منذ أكثر من ألفى عام لم يكن مكانا للعبادة فحسب بل كان أيضا مكانا للعلم والدرس والتدريس يتجمع الطلاب حول أعمدته مع أساتذتهم يتثقفون ويتعلمون ويناقشون فى شئون الدين واللغة وما يتصل بهما — فالأمر لا يعدو أن يكون مرحلة من مراحل التطوير •

سابعا — قانون عام ١٩٣٦ :

صدر هذا القانون فى عهد المشيخة الثانية للشيخ مصطفى المراغى وبموجبه ألغى العمل بقانون عام ١٩٣٠ — وان كان هذا القانون لم يغير كثيرا من النظام الذى كان قائما بالأزهر لكنه جمع القوانين السابقة فى قانون واحد شامل •

وأصبح التعليم بالأزهر أربعة أقسام :

(أ) ابتدائى : وفترته ٤ سنوات يمنح الناجح بعدها الشهادة الابتدائية •

(ب) ثانوى : ومدته خمس سنوات يمنح الناجح بعدها الشهادة الثانوية •

(جـ) عال : وهو نفس نظام الكليات الموضح فى القانون السابق •

ثامنـا ــ القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ (١٢) :

يعتبر هذا القانون اصـلاحا جذريا شاملا أعلى مكانـة الأزهر ، وأضاف علوما عدة الى حصيلة العلوم الدينية والعربية ليستطيع رجل الأزهر أن يسهم بدوره كاملا فى جوانب الحياة المختلفة فى المجتمع الاسلامى بما توفرت له من خبرات .

وقد عمد هذا القانون الى تحقيق عدة اهداف نذكر منها :

(أ) أن يظل الأزهر أكبر جامعة اسلامية .

(ب) أن يقوم برسـالته كحصـن للدين والعروبـة على خير وجه .

(جـ) أن يحصل خريجوه على قدر من العلم والمعرفـة لا تقل بحال ما عن أقرانهم فى الجامعات الأخرى ، مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التى يتميز بها الأزهر .

(د) ألا يتخلف الأزهـر فى مجـال العـلوم الحديثـة والتطورات السريعة التى طرأت وتطرأ على مختلف مجالات العلم والمعرفة المختلفة .

والقانون من ١٠١ مـادة وقد رتب فى ستة ابواب :

---

(١٢) نص القـانون موجود فى : الأزهر فى ١٢ عاما ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ ــ ١٢٨ ، وقد صـدر فى ٢٢ محرم ١٣٨١ هـ (٥ يولية ١٩٦١) .

البـاب الأول :

عبارة عن أحكام عامة ــ تتعلق بمكانة الأزهر وأهميته •

كما أشار الى طريقة اختيار شيخ الأزهر ووكيله •

وأشـارت المـادة الثانيـة فى هـذا الباب الى هيئـات الأزهر وهى :

المجلس الأعلى للأزهر ، ومجمع البحوث الاسلامية ، وادارة الثقافة والبعوث الاسلامية ، وجامعة الأزهر ، والمعاهد الأزهرية•

البـاب الثـانى :

يختص بالمجلس الأعلى للأزهر ، فيتحـدث عن تكوينـه واختصاصاته •

البـاب الثـالث :

عن مجمع البحوث الاسـلامية ، وادارة الثقافة والبعوث الاسلامية ــ فيتناول تشكيل مجمع البحوث الاسلامية ، وهو من عدد لايزيد على خمسين عضوا من كبار علماء الاسـلام ، وتحدث عن الشروط الواجب توافرهـا فى عضـو المجمع وعن اختصاصاته ومواعيد انعقاده •

كذلك شرح اختصاص ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية •

الباب الرابع :

عن جامعة الأزهر •

فتحدث عن اختصاصاتها ــ وعن كلياتها وهى :

١ ــ كليات للدراسات الاسلامية •

٢ ــ كلية للدراسات العربية •

٣ ــ كلية المعاملات والادارة •

٤ ــ كلية الهندسة والصناعات •

٥ ــ كلية الزراعة •

٦ ــ كلية الطب •

وأشار الى أنه يجوز انشاء كليات أخرى أو معاهد عالية تابعة لجامعة الأزهر بقرار من رئيس الجمهورية •

وتحدث عن ادارة جامعة الأزهر ، وشروط القبول بكلياتها المختلفة وعن مجلس جامعة الأزهر واختصاصاته ، وعن عمداء كليات الجامعة وطريقة تعيينهم ، وعن مجالس الكليات واختصاصاتها وهيئة التدريس بها وما يتعلق بها خاصا بشروط التعيين والنقل والترقية •• الخ •

كذلك حددت المادة ٧٥ الدرجات العلمية التى تمنحها

جامعة الأزهر ومعادلاتها فى الدرجات الجامعية التى تمنحها الجامعات الأخرى والشروط الواجب توافرها فى الدارسين الذين يتقدمون للحصول على هذه الدرجات العلمية .

ويختص الباب الخامس :

بالمعاهد الملحقة بالأزهر والغرض منها ، ومدة الدراسة بها وادارتها .

أما الباب السادس :

فهو يتعلق بالأحكام الانتقالية التى تسرى الى أن يتم تنفيذ هذا القانون والتى يحتاج لها الأمر فى الفترة ما بين سريان القوانين القديمة وهذا القانون الجديد .

كما أن المادة (٩٩) أشارت الى اللائحة التنفيذية للقانون وما يجب أن تتضمنه .

وهكذا نجد أن هذا القانون وضع فى الاعتبار أن جامعة الأزهر ليست جامعة دينية فحسب وانما هى جامعة دينية علمية .

وقد فتح هذا القانون أمام جامعة الأزهر آفاقا بعيدة ومجالات جديدة ونشاطات متعددة ــ وبعد أن كانت مقصورة على كلية أصول الدين والشريعة واللغة العربية ــ أصبحت تلبى رغبات الطلاب فى مختلف العلوم والفنون ، وصارت تشمل

كليات الطب والهندسة والتجارة والزراعة والعلوم والتربية ، والصيدلة واللغــات والترجمة ، وأصبح لها فرع للبنات يشمل كليات العلوم الاسلامية ، والعربية والانسانية ، وكليات للطب والتجارة والعلوم •

وقد نص هــذا القانون على اتاحــة فرص القبول للتعليم بالمجان فى كليات الجامعة الأزهرية ومعاهدها للطلاب المسلمين من كل جنس وكل بلد ، ووضع نظاما للدراسات الخاصة لطلاب البعوث من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة •

وقد فصل القانون نظام ادارة الجامعة الأزهرية ونظــام العمل بكلياتها وواجبات وحقوق أعضاء هيئات التدريس بها ، والدرجات العلمية التى يمنحها الأزهر وكلياته ـ بحيث أصبح الأزهر فى ضــوء هذا القانون يؤدى رسالته العلمية ـ بالاضافة الى رسالته الدينية ـ كأرقى وأعرق الجامعات العالمية •

وبالاضافة الى الجامعة الأزهرية تعرض القانون للمعاهد الأزهرية المتعددة ، وهــذه المعاهد تمد طلابها بالثقافة الاسلامية والعربية الى جانب الخدمات والمعارف التى يتزود بها نظرائهم فى المدارس العادية ، ويتيح لهم الحصول على الشهادة الاعدادية ثم الثانوية ، وتفتح لهم المجــال للاستمرار فى الدراسة فى كليات جامعة الأزهر أو غيرها من الجامعات والمعاهد العليــا فأصبحت لطلاب المعاهد الأزهرية فرص متساوية بينهم وبين زملائهم طلاب

مدارس التعليم العام • ونظم القانون واللائحة التنفيذية طريقة ادارة هذه المعاهد الأزهرية ، ونظم العمل والدراسة بها ، وشروط القبول • وقد تضاعف عدد هذه المعاهد الأزهرية وأصبحت هذه المعاهد مراكز قيادية للاشعاع دينيا وعلميا واجتماعيا •

ومن أهم المعاهد الأزهرية التى تطورت فى ظل النظام الجديد

معهد البحوث الاسلامية :

فقد كان فى البداية قسما يلتحق به الطلاب من الذين لم تؤهلهم سنهم للالتحاق بالمعاهد النظامية ، وكانوا خليطا من المصريين والوافدين من البلاد الافريقية والآسيوية •

ولكن تطور الأمر فخصص معهد للطلاب الوافدين من شتى الأقطار الآسيوية والافريقية •

وأعد للمعهد بناء خاص أقيم على مساحة خمسة أفدنة ، وأقيمت به المدرجات والفصول الدراسية والحمامات والملاعب ، وأماكن للادارة وغيرها ، وتكلف انشاؤه ١٥٠٫٠٠٠ جنيه •

وقد تضاعف عدد الطلاب الوافدين الى الأزهر من البلاد الافريقية والآسيوية •

وفى احصاء ١٩٦٤ كان عدد الوافدين من البلاد الافريقية كالآتى [١٣] :

الدولة	العدد
ليبيا	١٧٩
الجزائر	٢٦
تونس	١٠
المغرب	٣
السوداز	٦٦٤
الحبشة	١٠٦
ارتريا	٤٠٩
الصومال	١١٦
السنغال	١٤
غينيا	٣٥
مالى	٥٠
نيجيريا	٤٩
النيجر	٥١
غانا	٥٥
غنيا	٢

---

(١٣) الأزهر فى ١٢ عاما ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ وما بعدها .

الدولة	العدد
ساحل العاج	١٨
مدغشقر	٤
موريتانيا	٢٢
فولتا العليا	١٣
سيراليون	٦٩
الكونغو	٢١
داهومى	١
رواندا آوراندى	٢
ليبريا	١٠
توجولاند	١٥
تنزانيا	٩
كينيا	١٦
تشاد	١٦٦
أوغندا	١٠
زنجبار	٢٠

وقد تضاعفت هذه الأعداد فيما بعد كما سنشير فى الفصول التالية .

ومن هيئات الأزهر التى نص عليها القانون :

مجمع البحوث الاسـلامية (١٤) :

وقد حدد القانون شروط العضوية فى هذا المجمع وهيئاته الثلاثة وهى : المؤتمر ، مجلس المجمع ، والأمانة العامة .

ومؤتمر المجمع من خمسين عضوا على الأكثر ، ثلاثون منهم من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة والباقون من جنسيات مختلفـة .

وعمل مجمع البحوث الاسـلامية يتلخص فى العمل على تجديد الثقافة الاسـلامية وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية ، وتتبع ما نشر عن الاسـلام وتراثه من بحوث الأجانب للانتفاع بها أو مواجهتها ، ورسم نظام بعوث الأزهر الى العالم الخارجى ومنه .

ويعمل مجمع البحوث الاسلامية على توطيد أواصر التعاون بين علماء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

ويتبع المجمع :

١ ــ ادارة البعوث الاسلامية .

---

(١٤) المـادة ٨ من القـانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ .

٢ ــ ادارة الدعوة والارشاد .

٣ ــ ادارة البحوث والنشر .

وقد عقد المؤتمر أول اجتماعات فى ٢٣ شوال ١٣٨٣ هـ (٧ مارس ١٩٦٤) وحضر المؤتمر أعلام المسلمين وأئمـة التوجيه الاسلامى وقـادة الرأى فى ٤٢ دولة .

وقد انهى المؤتمر أعماله بعدة توصيات تحدد خطة العمل للمجمع وتبين أوجه نشاطه .

الوافدون على الأزهر والمبعوثون منه ودورهم فى نقل الحضارة والثقافة العربية الى الأقطار الافريقية الأخرى

محتويـات الفصـل :

— علاقة العرب بافريقيا وتطورها بعد ظهور الاسلام .

— الطلبة الوافدون للأزهر من مختلف الأقطار الافريقية ، ودور الأزهر فى مدهم بالعـلم والمعرفـة ، وتيسير حضورهم واقامتهم فى مصر (الأروقة ، مدينة البعوث الاسلامية ، المنح الدراسية ..) .

— مبعوثو الأزهر للدول الافريقية .

دورهم فى نشر العلم فى هـذه البـلاد فى المراحـل التعليمية المختلفة ، قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١

وما تضمنه عن المبعوثين ــ الشروط التى يشترط توافرها فى المبعوث .

ــ علماء الأزهر ودورهم فى البلاد الافريقية .

ــ المراكز الاسلامية الافريقية ودور الأزهر فى دعمها .

ــ المؤتمرات الدورية لبحث القضايا الدينية وغيرها من القضايا التى تهم العالم الاسلامى ، وكذلك حضور علماء الأزهر للمؤتمرات الاسلامية .

ــ تزويد المعاهد والجامعات الافريقية بالكتب والأدوات اللازمة .

ــ فحص المصاحف والكتب المتداولة فى الدول الافريقية والتأكد من سلامة ما تحتويه .

قبل الحديث عن الوافـدين الى الأزهر من طـلاب العلم والمعرفة أو المبعوثين من علمائه الى مختلف الأقطار الافريقية لابد من اشارة سريعة الى علاقة العرب بافريقيا وتطورها بعد ظهور الاسـلام •

العلاقات العربية الافريقية قديمة فقد جاء العرب من شبه الجزيرة العربية للساحل الشرقى لافريقيا المواجه لشبه الجزيرة واستقروا فى هـذه المناطق الافريقية وأصبح لهم تبادل تجارى مع السكان الافارقة ، واستقر بعض التجار العرب فى هـذه المناطق الافريقية وكونوا امارات عربية نمت وازدهرت وشـهد بعظمتهـا وتحضرها كل من زارها بعد ذلك من الرحالة العرب والأجـانب (١) •

---

(1) Coupland, R. : East Africa and Its Invaders (London 1938) P. 155.

وفى فجر الاسلام أمر النبى صلى الله عليه وسلم أتباعه بالهجرة للحبشة ـ فكانت الحبشة من أولى البلاد الافريقية التى اتصل بها العرب المسلمون وأثروا فيها .

وبعد أن استقر الأمر للمسلمين فى شبه جزيرة العرب ، أخذوا يمدون نشاطهم خارج شبه الجزيرة ، وكان استيلاء المسلمين على مصر فى عام ٢١ هـ ـ ٦٤١ م ايذانا بامتداد سلطانهم على الشمال الافريقى كله فتوالت حملاتهم على هذه البلاد التى كانت خاضعة لنفوذ البيزنطيين رسميا ، وان كان النفوذ الحقيقى فيها فى يد قبائل البربر .

ففى عهد الخليفة عثمان بن عفان أرسلت حملة بقيادة عبد الله بن حسن بن أبى السرح عامل مصر استطاعت أن توقع الهزيمة بجيوش قرطاج . وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان جهز جيشا ضخما من عشرة آلاف مقاتل التقى بالبربر والبيزنطيين وتوغل الجيش الاسلامى فى تونس . وفى عام ٦٦٦ م أعطيت قيادة الجيش العربى فى الشمال الافريقى لعقبة بن نافع الفهرى فبنى مدينة القيروان فى قلب البلاد التونسية ليطبع الفتح العربى بطابع الاستقرار ، فكانت هذه هى الخطوة الأولى نحو ظهور ولاية اسلامية بهذه البلاد . وفى خلافة يزيد بن معاوية خرج عقبة بن نافع بجنده يتصدى للاستيلاء على الشمال الافريقى

كله وضمه لحوزة العرب فتقدم فى بلاد المغرب حتى وصـــل الى طنجة واستسلم له أميرها الرومانى يوليان كما تقدم فى بــلاد السوس الأدنى والسوس الأقصى ووصل الى المحيط الأطلسى .

وهكذا خضع الشـــمال الافريقى كله للدولة الأمويـــة ، وانتشر الاسلام فى ربوعه ــ لكن اضطر الجيش العربى بعد ذلك للانسحاب الى طرابلس بسبب ثورة البربر واحتاج الأمر لجهود أضــخم ليسترجع المســلمون مكـــانتهم فى الشـــمال الافريقى (٢) .

وفى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ندب قائدا من أشهر قواده هو حســـان بن النعمان الغسانى لمتابعة الفتح والوقوف فى وجه البربر وزعيمتهم التى اشتهرت باسم الكاهنة ، ونجح حسان فى تحقيق هذا الأمر فهزم جيوش البربر وانتهى الأمر بقتل الكاهنة عام ٨٤ هـ ودخل البربر بعد ذلك فى الاسلام وكان منهم اثنا عشر ألف مجاهد مع جيوش المسلمين .

وتولى الأمر فى افريقية بعد ذلك موسى بن نصير فنشر الأمن فى ربوع الشمال الافريقى وأجاز مولاه طارق بن زياد الى بلاد الأندلس فى جيش عظيم من العرب والبربر فاجتاز المكان

---

(٢) لمن يريد تفاصيل هــذه الأحــداث ، يرجع الى شــوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ، ١٩٧٧ ، ص ٧ وما بعدها .

الذى عرف باسمه (جبل طارق) وفتح الأندلس ودخل الشمال الافريقى كله فى حوزة الأمة العربيـة وأصبح كما قلنا يمثل الجناح الغربى للعالم العربى والاسلامى .

ولم تقف أهمية هـذه الأحداث عند هذا الحد .. فمن المغرب الأقصى اندفع العرب الى غرب افريقيا . فقد بدأ المغرب الاسلامى يؤثر فى غرب افريقيا بعقيدته وثقافته ـ خاصـة أن البربر المسلمين أخذوا يهاجرون فى موجات متتابعة نحو الجنوب، فوصلت دعوة الاسـلام الى ضفاف نهر السـنغال ، وتقدمت جنوبا حتى منحنى النيجر ، ومنذ القرن الثامن الهجرى ازدهرت الممالك الاسلامية فى نطاق السودان الغربى (٣) .

أما عن الذين نقلوا الحضارة والثقافة العربية الى الأقطار الافريقية والوسائل والطرق التى انتقلت بها هـذه الحضارة الى مختلف أنحاء القارة :

١ ـ الطلبة الوافدون (الى الأزهر) :

منذ تحول الأزهر الى جامعة علمية بدأ يستقبل الطـلاب الوافدين من أبناء البلاد الاسلامية وتزويدهم بالعلم والمعرفة ، وكان عدد كبير من الوافدين منهم من الدول الافريقية ، وبمضى

---

(٣) يسرى الجوهرى : افريقيا الاسلامية ، ١٩٨٠ ، ص ١٦ .

الوقت وازدهار وتطور التعليم فى الأزهر ازداد عدد الوافدين اليه من مختلف الأقطار الافريقية .

ولم تمدنا المصـادر باحصائيات دقيقة عن عدد الطـلاب الوافدين للأزهر للدراسة من مختلف الأقطار الافريقية خاصـة فى السنوات الأولى من تاريخه ، ولعل أول ما وصلنا فى هـذا الصدد ما ذكره المقريزى من أنه فى سنة ٨١٨ هـ آى فى القرن التاسع الهجرى » بلغ عدد من يقيمون فى الجامع الأزهر للدراسة ٧٥٠ رجلا ما بين عجم ، وزيالعة ومن أهل ريف مصر ، ومغاربة وانه كان كل طائفة منهم رواق عرف بهم » (٤) .

وقد أشار المقريزى الى أنه فى أيام وزارة يعقوب بن كلس بنيت للوافدين للأزهر دور لايوائهم ، وانه كان يعطيهم من ماله الخاص ويخلع عليهم فى الأعياد خلعا وهدايا ـ وانه كان يفرد للنساء مجالسا خاصة يتعلمن فيها .

ويشير الى أن الأزهر ظل لمدة طويلة منارا للعلم والمعرفة ، ولم يكن له فى البداية دور رئيسى فى السياسة (٥) .

ومما ذكره المقريزى يتضح لنا انه قد خصصت أروقـة

---

(٤) المقريزى : المواعظ والاعتبـار بذكر الخطط والآثار (طبعة بولاق ، سنة ١٢٧٠ هـ) جـ ٣ ، ص ١٦٣ .

(٥) الخطط جـ ٢ ، ص ٢٢٦ .

بالأزهر للوافدين من طلاب العلم ، وقد وفر لهم الأزهر اقامة مستقرة فى أروقته كما أجرى عليهم المرتبات ليتفرغوا للعلم والمعرفة .

ومن اهم الأروقة الافريقية فى الأزهر التى جاء ذكرها فى المراجع المختلفة (٦) :

١ ـ رواق السنارية : وقد خصص للوافدين من سنار .

٢ ـ رواق الدارفورية : وقد خصص للوافدين من دارفور .

٢ ـ رواق البرنية : وقد خصص للطلبة الوافدين من مناطق غرب افريقيا . (ساحل الذهب ، والسنغال ، وغينيا ، ونيجيريا) .

---

(٦) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأروقة يرجع الى على مبارك : الخطط التوفيقية (طبعة ١٣٠٤ هـ) ج ٤ ، وكذلك منصور على رجب : الأزهر بين الماضي والحاضر (١٩٤٦) ، ص ٢٥ وما بعدها .

ملاحظة : أشار الجبرتى المؤرخ المعروف الى ان جده السابع الشيخ عبد الرحمن رحل من الحبشة الى مصر فى أوائل القرن العاشر الهجرى ، وجاء الى الأزهر وتولى مشيخة رواق الجبرتية .. وقد جاء ذكر كثر من الأحباش الذين وفدوا للأزهر مثل الشيخ فخر الدين عثمان بن على والمتوفى عام ٧٤٣ هـ ـ ١٣٤١ م ، والشيخ على الجبرتى وكان مقربا للسلطان قايتباى ، وعدد كبير ممن ذاعت شهرتهم العلمية فى المجتمع الاسلامى ، بالحبشة .

للمزيد من التفاصيل انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : العلاقات بين مصر والحبشة (١٩٧٥) ص ٧ وما بعدها .

٤ ــ رواق الجبرتية : وقد خصص للطلبــة الوافدين من شرق افريقيا من الحبشة واريتريا والصومال .

٥ ــ رواق البربر : خصص للطلبة من موريتانيا والمناطق المجــاورة .

٦ ــ رواق الدكارنة : (أو الصليحية) ــ خصص للطلبة الوافدين من منطقة تشاد والمناطق المجاورة .

٧ ــ رواق المغاربة : خصص للطلبــة الوافدين من بلاد الشمال الافريقى ، (تونس ، الجزائر ، المغرب) وهو رواق كبير وهام .

٨ ــ رواق الفلاتة : خصص لأهل افريقيا الوسطى .

وقد كان لكل من هذه الأروقة مكتبته العامرة بالمجلدات العلمية النادرة ليستفيد بها الدارسون .

الا أنه كثرت بعد ذلك أعداد الطلبة الوافدين من مختلف البلاد الافريقية شمالها وغربها وشرقها ــ والاحصائيــات التى لدينا عن الطلاب الوافدين المقيدين فى الأزهر منذ الثلاثينات من هذا القرن تدل على ذلك .

وان كنا لازلنا نفتقر الى احصائيات تفصيلية أكثر دقة .

ومنذ الخمسينات من هذا القرن زاد عدد الوافدين للأزهر من دول افريقيا زيادة واضحة .

والأزهر يعطي الوافدين اليه من مختلف الأقطار الافريقية عناية خاصة ، فادارة الأزهر تبذل جهدا كبيرا فى سبيل توفير الراحة لهم وتحقيق مطالبهم المختلفـة وتعتبرهم ضيوف مصر وسفراءها الذين سيحملون راية الاسلام وتعاليمه الى أبنـاء جنسهم . وكانت من ثمرات هذه الرعاية أن أصبح الوافـدون الذين تخرجوا فى الأزهر من الدعائم القوية فى توثيق علاقة مصر ببلاد كثيرة وشعوب افريقية متعددة واكتسب الأزهر بذلك فى المحيط الافريقى قدسية ونال المنتسبون اليه من هذه الشعوب احتراما وتقديرا (٧) .

وقد زاد عدد الوافدين على الأزهر من طالبى العلم ، ومن علماء بغداد بعد سقوط بغداد فى يد التتار ، فأصبحت للأزهر مكانة خاصة فى العالم الاسلامى ، كما أن احياء الخلافة العباسية فى مصر فى عـام ١٢٦١ جعل لمصر وللأزهر مكانة خاصـة فى العالم الاسلامى .

وكان الطلاب الوافدون الى الأزهر يقيمون ـ كما أشرنا ـ فى الأروقة ، ولمـا زادت أعدادهم أسكنوا فى احدى عمارات

---

(٧) الأزهر ، فى ١٢ عاما ، مرجع سابق ، ص ٢١١ .

معهد القاهرة ـ ثم استؤجرت لاقامتهم بيوت وعمارات سكنية ـ ولكن اهتمت الحكومة المصرية أخيرا ببناء مدينة خاصة للوافدين ، فأقيمت (مدينة البعوث الاسلامية) على مساحة ثلاثين فدانا تتسع لأكثر من خمسة آلاف طالب وتتخللها الحدائق والمنتزهات ، وتضم المدينة ٤١ عمارة سكنية يتكون كل منها من ثلاثة طوابق ، وكل دور من جناحين وأعدت بالاضافة الى ذلك حجرات متسعة للمذاكرة ، وأماكن للاطلاع ، وأقيم بالمدينة مسجد متسع على الطراز العربى ، وزودت المدينة بالخدمات الممتازة لساكنيها سواء من الناحية الطبية أم الخدمات العامة ـ فقد أقيم بها مستشفى خاص ، وزود بكل ما يحتاجه لتقديم الرعاية الطبية للوافدين .

كذلك زودت المدينة بمغسل ميكانيكى ، ومضخة خاصة لرفع المياه ، كما زودت بشبكات التليفون بالاضافة الى المرافق الأخرى اللازمة ، كما أنشئت بها جمعية تعاونية استهلاكية .

كما أقيم بها استاد رياضى وغير ذلك من أماكن للترفيه(٨).

هذا وقد حددت الأهداف من انشاء المدينة فيما يلى :

---

(٨) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٢ وما بعدها .
وكذلك محمد عبد الله عنان : تاريخ الأزهر (١٩٥٨) ، ص ٣٠٥ .
وللمزيد من التفاصيل يرجع الى لائحة طلاب الأزهر .

١ — توثيق العلاقات واذابة الفوارق بين الشعوب الاسلامية .

٢ — توفير أسباب الراحة للطالب الوافد فى معيشته حتى يتفرغ للدراسة .

٣ — مقاومة التمييز العنصرى الذى جعل من البشر سادة وعبيد .

هذا وللتيسير على الراغبين فى الحضور للأزهر من البلدان الافريقية المختلفة وللتعرف على الفرص المتاحة لهم زودت السفارات المصرية والمكاتب الثقافية الملحقة بها فى البلاد الافريقية المختلفة بمعلومات كافية ودليل يوضح رسالة الأزهر ونظمه التعليمية المختلفة ومراحله ومناهجه ، والشهادات التى يمنحها ، والبيانات الكافية عن المعاهد المختلفة وشروط القبول فيها ، والقوانين التعليمية وبيانات عن المنح التى يقدمها الأزهر لرعايا البلاد الافريقية . وترحب المكاتب الثقافية بتلقى طلبات الالتحاق بالأزهر لتقوم بفحصها وارشاد المتقدمين لاستيفاء البيانات المطلوبة ، وترسل المكاتب الثقافية هذه الطلبات الى ادارة البعوث الاسلامية لاتخاذ الاجراءات الخاصة بالتحاق الراغبين فى ذلك .

وعـادة يصنف الوافدون الى اربع فئات :

(أ) وافدون على منح وحاصلون على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

(ب) وافدون على منح لكنهم غير حاصلين على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

(جـ) وافدون للدراســة على حسابهم أو على حســاب حكوماتهم وحاصلون على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

(د) وافــدون للدراســة على حســابهم (أو حساب حكوماتهم) وغير حاصلين على شــهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

وتقدم الجهة الدراسية للطالب تقارير سنوية عن سيره فى الدراسة وذلك لادارة البعوث الاسلامية [٩] . وهذا يدل على مدى الاهتمام الذى يبذله الأزهر وكلياته ومعاهــده لضــمان استمرار الوافدين ، وكفالة حياة علمية سليمة لهم .

ولم تقتصر الجهود المبذولة على الطلبة الوافدين فكان لابد أن يمتد نشاط الأزهر واهتمامه الى الطالبات خاصــة بعد أن أنشئت كلية البنات بجامعة الأزهر . ومن احصائيات مراقبــة البعوث الاسلامية عن عدد الطلبة والطالبات الوافدين المقيدين

---

(٩) لائحــة طــلاب الأزهر .

بالأزهر تتضح الزيــادة المستمرة لهؤلاء الوافدين من الطلبــة والطالبات •

كما أن المبالغ المخصصة للطلبة الوافدين تزداد عاما بعد عام ، وقد بلغ من اهتمام الأزهر بالوافدين اليه آنه وكل الى بعض الأســاتذة أمر تعليم اللغــة العربيــة لمن لا يجيدونها من الوافدين ، وتتم هــذه الدراسة بقسم الدراسات الخاصة (١٠) •

ومن التيسيرات التى تمنح للطلاب الأفارقة عند حضورهم للأزهر للدراسة به :

١ ـ المنح الدراسية التى أشرنا اليها والتى زادت لكل طالب مســتوف للشروط من ١٠ جنيهــات شــهريا وأصبحت ٢٠ جنيهــا •

٢ ـ التسهيلات المقدمة للطلاب عند حضورهم للدراســة ومنها تحمل الأزهر النفقات لسفر الطلاب ، وصرف بدل استعداد لهم للعام الدراسى بمجرد وصولهم للقاهرة •

تسهيل نقل الطــلاب لكتبهم ولأمتعتهم التى يحتــاجون اليها بالقاهرة (١١) •

---

(١٠) يصدر مجمع البعوث الاسلامية احصائيات عن عدد الطــلاب الأفارقة من مختلف الدول الافريقية الملتحقين (بالدراسات الخاصة) ـ وعددهم يزداد كل عــام •

(١١) للتفاصيل ، يرجع الى ادارة البعوث الاسلامية ـ بياناته خاصة بالطلبة الوافدين •

ويلتحق الوافدون بعد حضورهم للقاهرة اما بمعهد القاهرة أو القسم العـــام بالأزهر ، وقد أخذت اعداد هـــؤلاء الوافدين تزداد باستمرار وتتعدد الأقطار الافريقية التى يفدون منها .

ويظهر التاثير الحقيقى للازهر فى الخارج من تتبع أحوال ونشاط هؤلاء الوافدين بعد عودتهم الى بلادهم بعد تخرجهم من الأزهر أو بعد حصولهم على قـــدر كبير من العلم والمعارف فيقومون بنشر هذه التعاليم فى بلادهم فى المدارس والمساجد وفى الجامعات وفى شتى أنحاء مجتمعاتهم المتعددة ، والكل هناك يكن لهم كل تقدير واحترام ويهتدى با رائهم ويسير عليها لأنهم قد اغترفوا من تعاليم الأســـلام فى رحـــاب الازهـــر الشريف وتفقهوا فى الدين وتتلمذوا على ايدى علماء الازهر الأجلاء .

وهؤلاء الطلاب الوافدون الى الازهر يكون لهم ــ كمـــا ذكرنا ــ غالبا شان كبير فى بلادهم حيث يتولون فيها قيادات سياسية وتعليمية وغيرها من الخدمات الاجتماعية المتعلقة بشئون بلادهم ، فيتفوقون فيها ويكون لهم تأثير كبير فى بلادهم ، ثم بلاشك يعتبرون لسان الأزهر المعبر فى تلك البلاد ، وصـــورته المشرفة وصوته المدوى بتعاليم الاسلام ، ومنارته المشعة بأهدافه السامية فى شتى الارجاء (١٢) .

---

(١٢) محمد محمد شتا زيتون : تأثير الأزهر فى الخـــارج ، بين الماضى والحاضر (مجـــلة الأزهر ، الجزء التاسع ، الســـنة الخامســـة والخمســـون ، يونية ١٩٨٣ ، ص ١٣٠ وما بعدها) .

وقد كان الوافـدون للأزهر يتقلدون فى مجتمعاتهم بعد عودتهم لبلادهم المناصب الهامة مثل منصب القضـاء والافتاء وغيرها ــ والحقيقة ان سلوك هؤلاء الوافدين فى مجتمعهم وبين مواطنيهم كان مثار الاعجاب والتقدير ٠

فقد تدرب هؤلاء الوافدون فى رحاب الأزهر على المساواة وانعدمت فيهم الفروق فأروقته كانت مفتوحة لجميع الطلاب على السواء ، وحلقاته ترحب بكل الوافدين بعضهم ترسـلهم حكوماتهم ، وبعضهم ترساهم هيئات اسـلامية وبعضهم يأتون بأنفسهم وعلى نفقتهم الخاصة ٠

٢ ــ مبعوثو الأزهر للدول الافريقية :

لا يقتصر دور الأزهر الحضارى والثقافى فى افريقيا على ما يقوم به الوافدون للأزهر عند عودتهم لبلادهم وعلى صدى ما تعلموه وما تزودوا به من علم وثقافة ومعرفة ــ فقد اتجـه الأزهر ــ بالاضافة الى استقبائه لأبناء الدول الافريقية ــ الى ارسال بعض أبنائه من العلماء والمتخرجين فى رحابه سـواء على نفقة الأزهر أم على نفقة البلد المبعوث اليها ، وسـواء أكانت هذه البلاد عربية اسـلامية أم غير اسلامية وفيها أقلية اسلامية حيث يقوم هؤلاء المبعوثون بنشر الثقافة الاسـلامية واللغـة العربية وتعليم مبادىء الاسلام ، وقد باشر الأزهر هـذه المهمة

منذ أمد طويل من عمره المديد فعن طريق هؤلاء المبعوثين انتشر الاسلام ومبادئه الى بقاع كثيرة فى افريقيا .

وعندما نلقى نظارة على مراحل التعليم المختلفة فى البلاد العربية والافريقية من ابتدائى الى اعدادى وثانوى سنجد كثيرا من خريجى الأزهر قد قاموا منذ فترة طويلة بالتدريس فيها ، ومازالوا يضطلعون بهذه المهمة حيث يعملون على تثقيف وتعليم أبناء هذه البلاد (١٣) .

بل اننا اذا ألقينا نظرة على كل الجامعات التى قامت فى العالم العربى والاسلامى وفى الدول الافريقية المستقلة حديثا سنجد أنها قامت على غرار الأزهر واقتبست من مناهجه ، وقام الأساتذة من الأزهر أو من المتخرجين فيه بالمشاركة فى وضع المناهج لها وتأليف بعض الكتب التى تدرس فيها ، ومازال الكثيرون من أبناء الأزهر يقومون بالتدريس فى تلك الجامعات المنتشرة فى أنحاء العالم العربى وافريقيا . وفى مطلع كل عام جامعى يأتى الى الأزهر بعض القائمين على هذه الجامعات ليستعيروا لجامعاتهم بعض العلماء من الأزهر فى شتى التخصصات حيث يمدهم الأزهر بما يحتاجون اليه وهو سعيد قرير العين .

---

(١٣) السيد حسن قرون : الأزهر فى القرن الثامن عشر الميلادى (مجلة الأزهر ـ الجزء الثامن عشر ـ السنة الخامسة والخمسون ـ دى الحجة ١٤٠٣ هـ سبتمبر ١٩٨١ ص ١٨٢١ وما بعدها) .

وهكذا باشر الأزهر نشاطه الديني والثقافي منذ أمد طويل عن طريق علمائه ، فانساب الاسلام الى بقاع كبيرة من القارة الافريقية واتخذت الثقافة العربية طريقها الى الدول الافريقية المختلفة. وكانت هذه الدول قد خضعت لسيطرة المستعمرين فترة طويلة ، وحاولت الدول الاستعمارية أن تطمس حضارة هذه الدول وثقافتها وأن تلقي ظلالا على ما كانت لها من حضارة زاهرة في وقت كانت أوربا نفسها لاتزال في عصور الظلام أو تحاول أن تخرج من هذه العصور • ولعل من يتعمق في دراسة التاريخ السياسي والحضاري للدول الاسلامية السودانية في افريقيا الغربية كدولة غانا ، ودولة مالي ، وغينيا ، وكانم ، وبرنو ـ يلتمس مدى ما كانت عليه الامبراطوريات التي قامت في هذه البلاد قبل الاستعمار الأوربي من تحضر وتقدم وازدهار وما أصاب هذه الحضارات نتيجة الاستعمار (١٤) •

وقد اهتمت مصر بالمبعوثين الأزهريين اهتماما كبيرا ادراكا منها لأهمية الرسالة التي يقومون بها ـ فيسرت لهم السفر الى البلاد الافريقية لأداء رسالتهم في هذه البلاد • ولما صدر قانون تطوير الأزهر سنة ١٩٦١ ، وتضمنت الدراسة فيه الكليات

---

(١٤) للدراسة التفصيلية لاوضاع هذه الدول الاسلامية يرجع الى :
عبد الرحمن زكي (دكتور) : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا العربية (١٩٦١) •

العملية التى يجمع خريجوها بين الثقافة الدينية والثقافة العلمية المطلوبة فى مختلف المجالات ــ كان الهدف الأساسى هو اعداد هؤلاء الخريجين لسد الفراغ فى البــلاد الافريقية من النواحى المتعددة .

وتشرف ادارة البعوث الاسلامية التابعة لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر على المبعوثين الأزهريين للبلاد الافريقية .

وكان عــدد المبعوثين من الأزهر للبــلاد الافريقيــة فى عــام ١٩٧٢/٧١ حوالى ١٥٠٠ مبعوث أوفــدوا الى البــلاد الآتية تلبية لرغبتها : ارتريا ، الجزائر ، السنغال ، السودان ، بوروندى ، تنزانيا ، سيراليون ، ليبيا ، مالاجاشى ، موريتانيا ، نيجيريا ــ وقد تضاعف الأعداد فى السنوات التالية (١٥) .

ويتلقى الأزهر كل عــام عشرات الطلبــات من الأقطــار الافريقية ليرسل لها بعثات من علمــائه للتعليم فى معاهــدها ، ويحرص الأزهر على تلبية هذه الرغبات . وهناك قواعد دقيقة لاختيــار العناصر الصالحــة للقيام بهــذه المهمــة الساميــة فيشترط فى المبعوث عدة شروط منها (١٦) :

---

(١٥) للوقوف على أعداد المبعوثين لكل بلد افريقى فى السنوات المختلفة يرجع الى : الأزهر : التقويم العلمى لمجمع البحوث الاسلامية .
محمود أبو العينين : نبذة فى تاريخ الأزهر (مطبعة الأزهر ١٣١٨ هـ ــ ١٩٤٦ م) ص٩٣ وما بعدها .

(١٦) الأزهر : الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية ، شروط الراغبين فى الانبعــاث .

١ ــ أن يكون قد أمضى فى التــدريس أو الوعظ على الأقل خمس سنوات .

٢ ــ أن يجتاز بنجاح اختبارا شفهيا يعقد لهذا الغرض .

٣ ــ أن تكون تقاريره الفنية والسرية جيدة .

٤ ــ ألا يزيد سنه على ٦٠ عاما .

٥ ــ أن يكون قد أمضى على انبعاثه من قبل مدة لاتقل عن ثلاث سنوات .

وعــادة يكون تحديد الهدف من الانبعاث :

١ ــ لتدريس المواد الدراسية للمراحل التعليمية المختلفة .

٢ ــ الوعظ والارشــاد .

٣ ــ هنــاك مبعوثون للدعوة الاســلامية فى البلاد غير الاســلامية .

٤ ــ رؤساء بعثات ، وأعضاء المجالس الاسلامية .

٥ ــ فنيون واداريون .

والمبعوثون اما أن يكونوا عن طريق الاعــارة أو التعاقد الشخصى . وكما ذكرنا سابقا ــ فان المبعوثين يكونون اما على نفقة الأزهر أو على نفقة الدولة المعارين لها ــ اذا كانت الدولة قادرة على دفع مرتباتهم .

٣ ــ العلمــــاء :

بالاضافة الى المبعوثين العاديين كثيرا ما يرســل الأزهر من علمائه البارزين من يقوم بتعليم أحكام الاســلام وفلسفته لمعتنقيه ، ولتوضيح الكثير من المفاهيم الغامضة ــ وقد كان لهؤلاء العلماء أثر كبير في البلاد الافريقية التى حلوا بها . هذا وقد قامت فى شمال افريقيا وفى غربها ــ كما سنشير بشىء من التفصيل فيما بعد ــ حركات اصلاحيــة دينية بارزة كان على رأسها مصلحون تأثروا بالأزهر وتعاليمه وقد هالهم ما شاهدوه فى هذه البلاد الافريقية التى انتشر فيها الاسلام ــ من أخطــاء فى تطبيق مبادىء الاسلام ومن بعد عما تعلموه عن دعوة الاسلام ومبادئــه .

٤ ــ دور الأزهر فى دعم المراكز الاسلامية الافريقية :

تنتشر المراكز الاسلامية فى مختلف الدول الافريقية بشمال القارة وغربها وشرقها ــ خاصــة تلك التى انتشر فيها الاسلام .

ومن أهم المراكز : المركز الثقــافى العربى فى فريتــاون بسيراليون ، ومركز الثقافة العربية فى آبادان بنيجيريا ، والمركز الاسلامى فى دار السلام فى تنزانيا ، والمركز الثقافى الاســلامى فى ساحل العاج .

وأهم ما تؤديه هــذه المراكز الاســلامية هو نشر الدعوة

الاســلامية ، والاهتمــام بالثقافة العربيــة ورعاية المسلمين ، والوقوف على أحوالهم وشئونهم وافادتهم فى متطلبات حيــاتهم الشخصــية كعقود الزواج والفتاوى الشرعيــة والاستفسارات الدينية ، وحمايتهم من أعداء الدين وتثقيفهم دينيا حتى يتمسكوا بدينهم ويعملوا لنشر مبادئه .

ولتحقيق هــذه الأهــداف تقوم هــذه المراكز بالنشــاطات الآتيــة :

١ ـ تعليم اللغــة العربية لمن يرغب من المســلمين الذين يرغبون فى تعلم هذه اللغة باعتبارها لغة القرآن .

٢ ـ شرح مبادىء الدين وتعاليمه وتفسير ما قد يكون غامضا لدى الناس مما يدعو اليه الدين أو ينهى عنه .

٣ ـ تنظيم المحاضرات التى ترتبط بالأحداث التاريخيــة الهامة التى مرت بالأمة الاسلامية والعربية .

٤ ـ القاء أحاديث بالمجمعات الاسلامية والمدارس .

٥ ـ اصدار مجلات دورية تربط القراء فى هذه البلاد بباقى اخوانهم فى العالم الاسلامى .

٦ ـ تقديم خدمات اجتماعية وثقافية ، وتنظيم وســائل تحقيق التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع الواحد .

٥ ـ تزويد المعاهد الاسلامية والجامعات الافريقية بالكتب والأدوات :

يشعر الأزهر أن من واجبه أن يزود المعاهد الاسلامية بمختلف الدول الافريقية والجامعات الافريقية بحاجتها من الكتب الدينية ، والأدوات التى تساعدها فى أداء رسالتها على أحسن وجه .

ومن أمثلة هذه المعاهد :

بالصومال : معهد الدراسات الاسلامية ، ومعهد برعو الدينى ، ومعهد مقديشيو ، ومعهد بلدوش ، ومعهد هرجيسا .

فى السودان : معهد أم درمان الدينى ، ومدرسة الأحفاد بأم درمان ، والمعهد الدينى فى حلفا ، والمعهد الدينى فى شجرة غوردون ، والمعهد الدينى فى الملكال ، ومعهد جوبا .

وفى جيبوتى : معهد اعداد المعلمين .

وفى السنغال : معهد كاولاك ، ومعهد الحاج محمد المرتضى .

وفى جزر القمر ، مدارس مزينى .

وفى تشاد : المركز الاسلامى .

وفى ليبيا : معهد البيضا الدينى ، معهد القويسرى ،

والجامعة الليبية (جامعة السنوسى سابقا) •

وفى ارتريـا : معهد أسمرة الدينى •

وفى نيجيريا : معهد العلوم العربية فى لاجوس ، ومدرسة دار العلوم فى أبادان •

وفى غانـا : مدرسة المقاصد الاسلامية ، ومدرسة جامع الشريف محمد عبده •

وهناك العديد من الهيئات العلمية الافريقية الأخرى التى ترتبط بروابط متعددة بالأزهر والتى يحرص الأزهر على دعمها علميا وثقافيا وتزويدها بحاجتها من الكتب الدينية وغيرها •

٦ ـ عقد المؤتمرات السنوية وحضور المؤتمرات الافريقية :

حرص الأزهر ـ خاصة منذ عام ١٩٦٤ ـ على أن يجمع المسلمين جميعا فى مختلف الأقطار الافريقية فى شبه مؤتمر سنوى يناقش القضايا الهامة التى يمر بها العالم الاسلامى • وقد عقد فى مارس ١٩٦٤ مؤتمر عام فى رحاب الأزهر نوقشت فيه كثير من الموضوعات التى تهم الأمة العربية والاسلامية وقد اشترك فيه عدد غير قليل من مختلف الأقطار الافريقية (١٧) •

---

(١٧) عدنان عبد العزيز سليمان (دكتور) : رسائل الأزهر الثقافية فى بعض دول افريقيا (رسالة دكتوراه غير منشورة ـ جامعة عين شمس ـ كلية اللغة العربية ١٩٧٢) •

بالاضافة الى هذا يحرص الأزهر على أن يكون له تمثيل ووجود ومشاركة فعلية فى المؤتمرات الافريقية التى تعالج وتناقش قضايا تهم العالم الاسلامى .

ومن يطلع على بيانات ادارة التخطيط والاحصاء والمتابعة بجامعة الأزهر يدرك مدى ما أسهم به علماء الأزهر من أبحاث ، واشتراك فى مناقشات فى مختلف المؤتمرات الافريقية . وتحرص الدول الافريقية وجامعاتها ومختلف الهيئات الثقافية والدينية فيها على دعوة الأزهر لارسال ممثلين له لحضور المؤتمرات الهامة التى تعقدها وتيسر ادارة الأزهر مهمة سفر علمائها لهذه المؤتمرات ، وعادة يقدم ممثل الأزهر بعد عودته تقريرا وافيا عن المؤتمر الذى اشترك فيه وما قدمه من أبحاث ونشاطات أخرى لتطمئن الادارة على قيام مبعوثيها بواجبهم على خير وجه .

٧ ـ فحص المصاحف والكتب الدينية المتداولة فى الدول الافريقية :

كان طبيعيا أن يتنبه رجال الدين والأزهر ـ بعد أن انتشر تداول المصاحف والكتب الدينية فى البلاد الافريقية التى انتشر فيها الاسلام ـ الى أهمية التأكد من سلامة المصاحف والكتب المتداولة وأنها لا تحتوى على أية تحريفات أو شوائب قد يقع

فيها النساخ أو عمال المطـابع بقصد أو بغير قصد ـ ولذا أنشىء قسم خاص بمجمع البحوث الاسـلامية لمراجعة المصاحف التى تعد للتوزيع وفحصها فحصا دقيقا بواسـطة لجان خاصـة • ويشرف هذا القسم على منح تصاريح تصدير المصاحف الموثوق بها والتى تمت مراجعتها للدول الافريقية •

وبالاضافة الى ذلك يشرف هذا القسم على فحص الكتب التى تنشر باللغـة العربية أو اللغـات الأجنبيـة والتى تحتوى معلومات دينية أو غيرها مما يمس العقيدة والدين الاسلامى • وبناء على هـذا الفحص يصدر الأزهر رأى علمائه فى الكتاب المنشور ومدى تمشيه مع الحقائق الدينية •

الفصـل الثـالث

الدول الافريقية التى لعب الأزهر دورا هاما فى نشر الاسلام والثقافة العربية فيها

محتويات الفصـل :

- اتنشار الاســلام والعروبـة فى افريقيـا منذ ظهور الاســلام .
- دور الأزهر فى الســودان .
- دور الأزهر فى شرق افريقيا .
- دور الأزهر فى شمال افريقيا .
- دور الأزهر فى غرب افريقيــا .

اتصل العرب بافريقيا منذ زمن طويل ، وهاجر عدد غير قليل الى شرق القارة ــ على وجه الخصوص ــ واستقروا فيها وكونوا امارات عربية فى الأماكن التى استقروا فيها واندمجوا مع سكانها الافارقة وأثروا فيهم وتأثروا بهم • وترتب على هذا الاحتكاك بين العرب والافارقة ان انتشرت أللغة العربية بين السكان فى المناطق التى حدث فيها هذا التلاقى . ودخلت بعض الألفاظ العربية فى المعاملات وغيرها ، وكانت اللغة السواحلية من ثمار هذا الاحتكاك بين العرب والافارقة كما ظهرت أثار هذا الاتصال فى كثير من المظاهر الحضارية الأخرى •

وكما ذكرنا فقد أعطى الاسلام دفعة جديدة لهذه الموجات العربية الخارجة من شبه جزيرة العرب فاندفعت الى القارة الافريقية تنشر دينها ولغتها وحضارتها • على أن انشاء الأزهر أعطى دفعة جديدة للاسلام والمسلمين ، فقد أصبح المنارة التى تضىء الطريق ــ خاصة أن رجال الأزهر اعتبروا أن رسالتهم

لا تقتصر على المجـال المحلى بل يجب أن تتسع لتشمل أكبر مساحة ممكنة من القارة الافريقية ولتصـل الى أكبر عدد من سـكانها •

وقد اتخذ الاسلام فى افريقيا طرقا عدة • ولاشـك فى انه حين بدأ الازهر رسالته كان الاسلام قد وصل الى مناطق عدة من القـارة ـ لكن ضاعف قيـام الأزهر برسالته ونشاطه من انتشار الاسـلام فقد توافد عليه الكثيرون من طلاب العـلم والمعرفة ، كما انتشر رجاله وعلماؤه فى مختلف أنحـاء القارة ينشرون الاسلام والثقافة العربية بين أبناء القارة •

ولعله من المناسب أن نتتبع دور الأزهر فى بعض هـذه الأقطار الافريقيه لنعرف الى أى مدى أثر فى هـذه الأقطـار وفى أبنائهـا •

أولا ـ دور الأزهر فى السودان (سودان وادى النيل) :

ارتبط تاريخ السـودان الحضـارى بمصر منذ أقـدم العصور ، فلما وصلت المسيحية مصر واعتنقها عدد من سـكان البلاد وكانت مصر فى ذلك الوقت ولاية رومانية ـ تسربت منها الى بلاد النوبة الواقعة جنوب مصر (السودان الشمالى حاليا) • حدث ذلك منذ القرن الأول للميلاد وعلى يد مصريين ممن اعتنقوا هذه الديانة من قبل ونزحوا للجنوب هربا من الاضطهاد الذى كان

موجهــا اليهم ــ لاسـيما فى عهد الامبراطورين تارجيــان ، ودقلديانوس ، وبالتــدريج زاد عــدد النوبيين الذين اعتنقوا المسيحية ، وانتهى الأمر بأن صارت المسيحية الديانة الرســمية لمملكة النوبة الشمالية وانتقلت الى النوبة الجنوبية (مملكة علوة) حتى أصبحت تقريبا ديانة جميع النوبيين [1] .

وقد عاشت المسيحية فى السودان نحو تسعة قرون حتى حل محلها الاسلام .

وبعد فتح العرب لمصر فى عام ٦٤١ م بدأت الاتصالات بين مصر الاسلامية وبلاد النوبة . فقد أرسل عمرو بن العاص جيشا لبلاد النوبة بقيــادة عبد الله بن ســعد بن أبى السرح وانتهى الأمر بعقد (صلح النوبة) بين الطرفين [2] .

وبعد أن أصبح عبد الله بن سعد بن أبى السرح واليا لمصر سنة ٣١ هـ تجددت الاشتباكات وغزا عبد الله بن ســعد النوبة وعقد صلحا مع ملكها . وقد أطلق بعض الكتــاب كالمقريزى

---

(١) مصطفى محمد مسعد : الاســلام النوبة فى العصــور الوســطى ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) البلاذرى ــ فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ .

وللدراســة التفصيلية للظروف التى انتشر فيهــا الاســلام والثقافــة العربية فى سودان وادى النيل يرجع الى :

شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، وحضــارته وعلاقاته بمصر ، جـ ١ ، (١٩٦٩) ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

على هذه الاتفاقية لفظ (البقط) ، وقد نظمت هـذه الاتفاقية العلاقات السلمية والتبادل التجارى بين القطرين (٣) .

وأخذت القبائل العربيه تهاجر الى بلاد النوبه مما ادى لانتشار الاسلام فيها ، هذا بالاضافه الى أن التجار العرب كانوا خير دعاة للاسلام فى هـذه البلاد . كما أن الأحداث السياسية فى الدولة الاسلامية أدت لهرب بعض المغلوبين على أمرهم الى بلاد النوبة ــ كما حـدث حين انتقلت الخلافة من بنى امية الى بنى العباس .

وحدث حين آلت الأمور فى مصر للفاطميين أن استقر أفراد من قبيلة ربيعة جنوب أسوان وقوى نفوذهم وأصبحت لهم سطوة وكلمة على المناطق من أسوان والممتدة جنوبا لبلاد النوبة التى كان سلطان ملوكهـا قد ضعف الى درجـة أن أصبحوا لا يستطيعون تهيئة الأمان والطمأنينة لأتباعهم .

وقد رأت الدولة الفاطمية أن تعترف بسلطة قبيلة ربيعة ، وأن تقرب اليها زعيم القبيلة أبو مروان بشر بن اسحق .

وهـكذا قامت فى هذه الجهات ــ فى هـذه الفترة التى

---

(٣) انظر المقريزى : المواعظ والاعتبـار فى ذكر الخطط الآثار ، جـ ١ ، ص ٣٢٣ . وللشرح المستفيض لبنود هذه الاتفاقية يرجع الى : شوقى الجمل : المرجع السابق ، ص ٢٣ وما بعدها .

تتحدث عنها والتى بنيت فيها القاهرة والأزهر ــ امارة عربيــة اسلامية سيكون لها دور فعال فى نشر الاسلام والثقافة العربية فى بلاد النوبة وبين سكانها ٠

وتشير المراجع الى أن القائد جوهر الصقلى عقب فتحه لمصر أرسل رسوله عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى برسالة الى ملك النوبة ــ كان مما جاء فيها دعوته لاعتناق الاسلام ٠

وتذكر المراجع التاريخية حادثة كان لها أيضا أثرها فى هذا العهد فى استقرار احدى القبائل العربية القوية فى جنوب مصر وشمال النوبة ٠ ففى عهد خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمى حدث أن هرب أحد الخارجين على الخليفة وهو أبو ركوه ، وهو من سلالة بنى أمية ، وفر من مصر الى الجنوب فاستعان الخليفة بزعيم قبيلة ربيعة المدعو أبو المكارم هبة الله ، واستطاع هذا الزعيم أن يقبض على أبى ركوه ــ فكافأه الخليفة الفاطمى بمنحــه لقب (كنز الدولة) ، وتوارث أبناؤه اللقب وتسـموا بالكنوز وانتشروا فى المنطقة الممتدة من أسوان الى كورسكو ، وقد اشار ابن الأثير فى كتابه الكامل الى هذه الحادثة سنة ٣٩٧هـ (١٠٠٧ م) كما أشار اليها المقريزى فى خططه (٤) ٠

---

(٤) المقريزى : الخطط ، ص ١٩٩ ٠

وقد أصبح لهذه القبيلة ومازال دور كبير وتأثير فى سكان السودان الحالى ٠

وأشير الى أن الفاطميين أكثروا من استجلاب السودانيين وجندوهم فى صفوف الجيش الفاطمى خاصة فى عهد الخليفة المستنصر ، وقد كانت أمه سودانية ٠ ويروى أنهم بلغوا فى عهده الخمسين ألفا ، وأصبحوا قوة كبرى فى مصر حتى أن صلاح الدين الأيوبى فيما بعد اضطر لمحاربتهم ليقيم دولة الأيوبيين ٠

وقد ترتب على هجرة العرب واستقرارهم بالسودان بل وهجرة بعض النوبيين الى مصر — أن دخلت أعداد كبيرة من النوبيين فى الاسلام فتعربوا لغة وثقافة ودينا — حدث ذلك دون ضجة أو اضطراب (٥) ٠

وقد ترتب على المصاهرة بين العرب وبين النوبيين ظهور مجموعات نوبية مستعربة من أهمها الكنوز ، والكوت ، والمحس ، والدناقلة ٠ وظل الكنوز حتى أوائل القرن السادس عشر ، يمثلون أقوى هذه العناصر (٦) ٠

وانتهى الأمر بقيام سلطنات أو دول عربية اسلامية فى

(٥) Trimingham, S. : Islam in the Sudan P. 617.

(٦) مصطفى مسعد : مرجع سابق ، ص ١٨٢ ٠

السودان منها سلطنة سنار أو سلطنة الفونج نسبة الى الأسرة السودانية الحاكمة بها ، ثم سلطنة الفور فى دارفور ، ومملكة تقلى فى كردفان ، وقد ظلت كلها قائمـــة حتى بدأ محمد على يمد سلطانه الى مصر فالسودان (٧) .

وهذا التطور الذى حدث فى الفترة الواقعة بين فترتين ــ الفترة التى كانت متصلة حضـــاريا وثقافيا وسياســـيا فى بعض الأحيان بتاريخ مصر القديم ــ وبين الفترة الحديثة من تاريخ السودان والمرتبطة أيضا بتاريخ مصر الحديث ــ تطور هـــام وسريع بالنسبة لانتشار الاســـلام والثقافة العربية بل والدماء العربية فى السودان .

على أنه منذ القرن الرابع عشر بدأ بعض العلماء المسلمين الذين درســـوا فى الأزهر يفـــدون من مصر الى الســـودان ويستقرون فيه ويعمرون المساجد ويعلمون أهله مختلف علوم اللغة العربية والدين .

وقد كان أثر مصر فى السودان علميـــا أكثر منه صـــوفيا خالصا ــ فكان من يذهب من الســـودان الى الأزهر الشريف

---

(٧) لمزيد من التفاصيل عن السلطنات الاسلامية بالسودان يرجع الى : شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ٣٠٠ وما بعدها .

يعود بحصيلة ممتازة من علوم الفقه والتوحيد واللغة ــ وكان من يهاجر من مصر للسودان فقيها يصير فقيهامتصوفا (٨) .

الرواد السودانيون من متخرجى الأزهر :

يصعب أن نعطى بيانا كاملا بالرواد الأوائل من السودانيين من متخرجى الأزهر لكن يكفى ان نذكر بعضهم لالقاء الضوء على جهودهم فى نشر الثقافة الاسلامية والعربية فى وطنهم . فمنهم الشيخ محمود أحمد العركى الذى قيل انه أنشأ خمس عشرة مدرسة على النيل الأبيض فى منطقة الكوه جنوب الخرطوم وقد درس فى هذه المدارس عدد كبير من المواطنين السودانيين .

ويذكر ود ضيف الله فى كتابه الطبقات ــ انه لما نشأت دولة الفونج الاسلامية فى سنار كان العرب الذين أسسوا هذه الدولة قد نسوا الكثير من تعاليم دينهم فكان اسلامهم اسميا ــ ووصلت الفوضى والجهل بالدين الى أن الرجل كان يطلق امرأته ويتزوجها غيره فى نهارها بدون عدة ، وظل الحال كذلك حتى قدم من مصر الشيخ محمد العركى فنشر تعاليم الاسلام بين الناس وعلم الناس العدة .

ومنهم أولاد جابر الأربعة وهم من أسرة غلام الله بن عابد اليمنى الذى وفد للسودان من اليمن فى أواخر القرن الخامس

(٨) عبد القادر محمود : الفكر الصوفى فى السودان ، ص ٥٨ .

عشر الميلادي وقد ولدوا بالسودان ثم سافروا الى مصر حيث درسوا فى الأزهر على الشيخ محمد البنوفرى وغيره من أعلام المالكية فى مصر ، فدرسوا أصول الفقه المالكى واللغة والنحو وعادوا لبلادهم حيث أخذوا ينشرون العلم هناك .

وقد أسسوا عددا كبيرا من المدارس والمراكز لتعليم القرآن والفقه خاصة فى المنطقة الممتدة من دنقله شمالا الى أريجى فى الجنوب . ومن أهم هذه المراكز مدينة دنقله ، والدامر مركز الجعليين وكعبتهم الثقافية ، وكورتى ، وبربر . وقد كان سكان الحلة التى بها المسجد أو الخلوة يستضيفون الطلبة الغرباء فى بيوتهم ليقيموا فيها طاعمين كاسين ويبقوا معهم كما يشاءون .

وقد لاحظ بوركهاوت ذلك وأشار اليه (٩) .

ونشير الى أن هذه الأقاليم تأصلت فيها التقاليد العربية وثبتت تعاليم الاسلام بفضل هؤلاء العلماء ـ لكن لابد أن بعض التقاليد السابقة ظلت سائدة لفترة من الزمن . ويرجع الفضل الى هؤلاء العرب الذين استقر بهم المقام فى السودان فى تكوين وتأسيس السلطنات والمشيخات العربية السودانية التى ازدهرت فى السودان قبل امتداد التنظيمات التى بدأت فى عهد محمد على .

---

(٩) حسن احمد محمود (دكتور) : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ج ١ ص ٢٤٠ .

ومن الذين بشروا وعمروا المساجد فى هذه الجهات أولاد عون الله السبعة وعدد من الشيوخ مثل الشيخ البندارى والشيخ حمد ولد رزوق ، والشيخ ادريس الأرباب ، والشيخ ابراهيم بن عبودى الفرضى وقد سمى كذلك لطول باعه فى علم الفرائض ، كذلك الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم بن أبى ملاح الكنانى ، وهناك كثيرون غيرهم.ولقد أصبح أولئك الرواد الذين درسوا فى الأزهر نواة المجتمع السودانى ودعامته فأقبل عليهم الطلبـة من كل فج يتلقون العلم عليهم ، وتوالت ــ كما رأينا ــ بيوت دينة بعينها تؤسس المدارس وتحرص على ايواء الطلاب ونشر العلم فى البلاد فاشتهرت مدارس الشايقية فى دنقله ، والنبش فى بربر ، والمجاذيب فى الدامر ، وقوز العلم فى شندى وتوتى ، والعليفون وكترابخ وأبى حراز (١٠) .

على أن العلماء السودانيين الذين تخرجوا فى الأزهر لم يكونوا هم وحدهم حملة رسالة الأزهر فى السودان فى ذلك العهد ــ فقد وفد على السودان نفر من علماء الأزهر المصريين الذين أسهموا أيضا فى نشر العلم فى ربوع الســودان . نذكر من هؤلاء الشيخ محمد المصرى القناوى وهو فى الأصــل من ادفو ، وقد وفد على السودان وتتلمذ على يديه عدد غير قليل من السودانيين .

(١٠) محمد سليمان : دور الأزهر فى السودان ، ص ٣٠ وما بعدها .

كذلك الشيخ محمد بن على بن قرم الكيمانى ، وقد جاء من مصر الى بربر واستقر بها وتتلمذ عليه كثيرون ٠ وأشير الى أن بعض العلماء السودانيين عنوا بتأليف الكتب الدينية واللغوية ، وكانت لبعض علماء السودان خزانات كتب كانوا يحرصون على تزويدها بالمصادر والمراجع الهامة التى كان أغلبها يرد من مصر — وقد ترك أحد فقهاء السودان بعد وفاته دراسة عن سير مائتين وسبعين من علماء السودان (١١) ٠

وعرف عن ملوك سنار وسلاطينها أنهم يعظمون العلماء ويجلونهم وينزلونهم مكانة كبرى فى نفوسهم — وأنهم كانوا يرسلون الى مصر الوفود محملة بالمال والذهب لشراء الكتب النادرة ، وكان بعضهم يراسل علماء الأزهر ويرسل لهم الهدايا ويطلب منهم المشورة والرأى فى بعض ما يعنى لهم (١٢) ٠

وقد تبوأ عدد من خريجى الأزهر السودانيين المناصب القضائية فى السودان فكان لهم الفضل فى الفصل بين الناس فى الخصومات التى تنشب بينهم حسب رأى الدين والشرع ، وحين كان القضاة السودانيون يختلفون فى الرأى فيما يتعلق بقضية ما كثيرا ما كانوا يحتكمون الى علماء مصر (١٣) ٠

---

(١١) لمن يريد تفصيلا من هذه المؤلفات يرجع الى :
يوسف فضل : دراسات فى تاريخ السودان ، جـ ١ ، ص ١١١ — ١١٨ ٠
(١٢) أحمد بن الحاج كاتب الشونة (تحقيق الشاطر بوصيلى) ٠
(١٣) ود ضيف الله : الطبقات ، ص ١١٤ ٠

وعندما تأسست سلطنة دارفور فى اقليمى دارفور وكردفان فى القرن السابع عشر حرص سلاطينها على دعوة علماء الأزهر للحضور للسودان والاقامة به ، كما شجعوا مواطنيهم على السفر الى مصر طلبا للعلم فى الأزهر حيث أقاموا فى رواق دارفور ، حيث زخر هذا الرواق بعدد الوافدين اليه من سلطنة دارفور ، وقد ساهم المتعلمون فى الأزهر من الدارفوريين فى الوعظ والارشاد والتعليم فى المساجد ومكاتب العلم التى ألحقت بها ، والتى انتشرت فى أنحاء السلطنة والتى اشتهرت منها خلاوى طره ، وشويا ، والطينة ، كما اشتهرت جوامع الفاشر ، وكوبى ، وجديد السبل (١٤) •

وقد أجزل سلاطين دارفور العطاء للعلماء وأقطعوهم الأرض يعيشون عليها ويصرفون ريعها هم وتلاميذهم •

وقد تبارى سلاطين دارفور وسلاطين سنار فى تشجيع علماء الأزهر سواء المصريين أم السودانيين للحضور والاقامة وتوجيه الناس وارشادهم وتعليمهم • ومن أشهر سلاطين دارفور فى هذا المجال السلطان عبد الرحمن الرشيد الذى حكم من عام ١٢٠١ هـ الى عام ١٢١٥ هـ (١٧٨٧ — ١٨٠١ م) ،

---

(١٤) محمد سليمان : مرجع سابق ، ص ٤٤ •

وقد حرص هؤلاء الحكام على أن يعهدوا بتربية أبنائهم لعلماء أزهريين .

ولما امتدت الادارة المصرية الى السودان فى عهد محمد على حرص هو وخلفاؤه على نشر التعليم الدينى بين أفراد الشعب السودانى فاختير عدد من أبناء الجهات التى امتد اليها النفوذ المصرى وأرسلوا الى الأزهر الشريف والى المدارس المصرية لتلقى العلم ، ثم بعد ذلك بدأت محاولة فتح المدارس فى الخرطوم وغيرها من مدن السودان ، وقد أسهم خريجو الأزهر بنصيب وافر فى التعليم فى هذه المدارس (١٥) .

وقد أصبح بالأزهر ثلاثة أروقة للسودانيين رواق سنار ، ورواق دارفور ، ورواق البرابرة الخاص بالطلاب النوبيين . وقد تغير اسمه الى رواق شمال السودان بناء على رغبة أبداها السيد عبد الرحمن المهدى للشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر عند زيارته له فى الأزهر .

وقد برزت فترة حكمدارية جعفر مظهر باشا (١٨٦٦ ــ ١٨٧١) بسبب اهتمامه بتعليم وتثقيف السودانيين فأرسل بعض الطلاب السودانيين لمصر للانتساب للأزهر لفترة

---

(١٥) عبد العزيز عبد المجيد (دكتور) : التربية فى السودان والأسس النفسية التى قامت عليها ، حـ ٢ ، ص ١٦ وما بعدها .
وحسن أحمد محمود (دكتور) : مرجع سابق .

ثلاث سنوات يعودون بعدها للسودان ، وقيل انه عند مغادرته للسودان متوجها لمصر اصطحب معه بعض الطلبة السودانيين من كسلا ليواصلوا تعليمهم فى الأزهر وأنه قام بتقديمهم بنفسه للشيخ مصطفى العروسى شيخ الأزهر وأوصاه بهم خيرا (١٦) •
وحين امتد نفوذ الأدارة المصرية فى عهد الخديو اسماعيل الى جهات جديدة فى شرق السودان وغربه والى مديرية خط الأستواء ــ اتبع نفس الاسلوب مع أبناء هذه البلاد فاختير منهم عدد أرسلوا لمصر للالتحاق بالأزهر (١٧) •

على أننا نشير الى أن امتداد الادارة المصرية لمديريه خط الاستواء فتح المجال أكثر أمام الهجرات العربية الى الجنوب وساعد هذا بدوره على انتشار اللغة العربية والثقافة العربيه بين أبناء الجنوب ــ وان كان يؤخذ على الأدارة المصرية آنها لم تركز على هذه الناحية بالذات ــ أقصد بها ــ الاهتمام بتكثيف الجهود لنشر الثقافة العربية على نطاق أوسع فى جنوب السودان. وقد ظهرت نتائج هذا الوضع أكثر فى عهد الادارة الثنائية حين وضعت الأدارة الانجليزية سياسة يقصد بها فصل جنوب السودان عن شماله وتعويق الجهود المبذولة لنشر الحضارة والثقافة العربية والدين الاسلامى فى الجنوب •

---

(١٦) عبد العزيز عبد المجيد : مرجع سابق ، ج ٢ ص ٦١ •
(١٧) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٧٧ •

ونشير الى أن الادارة المصرية لما امتدت الى جنوب السودان كلفت عدة بعثات بمد نفوذ مصر لمنطقة البحيرات الاستوائية ، وقد ترتب على ذلك ان طلب أمتيسة ملك أوغندة ارسال من يرشده الى تعاليم الاسلام ، وقد بادرت مصر الى ارسال اثنين من علماء الأزهر — وقد جاء فى رد الحكومة المصرية على هذا الطلب من الملك الأوغندى :

« انه بما أن هذه البلاد بعيدة ومتسعة ، ونشر الدين القويم فيها مبتدىء فقد تعين اثنان من الفقهاء من ذوى العقل والمعرفة والارادة فى تآلف قلوب الأهالى وتعليمهم بغاية اللطف قواعد الديانة وتفهمهم محسناتها » [18] .

وقد ترتب على امتداد الادارة المصرية لمنطقة البحيرات الاستوائية أن انتشرت الحضارة والثقافة العربية والدين الاسلامى بهذه الجهات ، وقد أشار عدد من الكتاب والرحالة الأجانب الى ذلك ، فقد أشار الدكتور يونكر فى كتابه رحلة افريقيا الى فضل الادارة المصرية فى نشر الحضارة فى هذه الجهات فقال :

« يرجع الفضل الى المسلمين — وهم الذين توجه اليهم

---

(18) دفتر 18 عابدين — صادر للفراقات عربى شقرة ص 3 ، فى (21 ربيع الأول 1291) .

المطاعن والمثالب فى الزام الزنوج بضرورة المعيشة فى هدوء وسلام مع القبائل المجاورة لهم والاقامة على قدر الامكان فى دورهم وصرفهم الى زراعه حقولهم ، وهذا العمل ينبغى ان نقدره حق قدره بدون ان نبخسه شيئا . ومما يشرف الحكومة المصرية وضع المناطق التى يسكنها الزنوج تحت سيطرتها . وهذا الأمر مكنها من ان تفتح بابا لانتشار المدنية فيها فى مستقبل الأيام .

وقد شهد نفس هذه الشهادة المبشر فليكن فى كتابه (أوغندة والسودان المصرى) (١٦) .

فلاشك فى أن مصر مهدت الطريق لانتشار المدنية والحضارة فى هذه الجهات وداست الأشواك . وكان دور رجال الأزهر ومبعوثيه فى هذا المجال دورا بطوليا .

وظل دور الأزهر بارزا فى الحياة المدنية والثقافية فى السودان حتى بعد أن قامت الثورة المهدية . فرغم أنه لم يكن بين مصر والسودان اتصال رسمى طوال الثلاثة عشر عاما من حكم المهدية فقد انضم الى الثورة المهدية فقهاء وعلماء سودانيون من متخرجى الأزهر وشغلوا مناصب هامة خاصة

---

(١٦) Felkin : Uganda and The Egyptian Sudan V.I. P. 324

ملاحظة : لمزيد من التفاصيل عن حياة متخرجى الأزهر السودانيين فى عهد المهدية يرجع الى :

محمد سليمان : مرجع سابق ص ٨٢ وما بعدها .

فى القضاء الشرعى ، نذكر منهم القاضى أحمد جبارة وهو من متخرجى الأزهر ، والشيخ الحسين ابراهيم الزهراء ، والشيخ محمد البدوى ، والشيخ الصوفى عبد الرحمن ، والشيخ محمد عمر البنا ، والشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفانى .

وقد برز دور الامام محمد عبده فى أثناء السيطرة البريطانية على شئون السودان فى ظل الحكم الثنائى خاصة بعد آن أصبح الامام مفتيا لمصر فاختار لمناصب القضاء الشرعى والمناصب الدينية عددا ممن تتلمذوا على يديه وعلى يد أستاذه جمال الدين الأفغانى ، وممن شغلوا منصب القضاء فى السودان فى هذه الفترة الشيخ محمد شاكر (٢٠) ، والشيخ مصطفى المراغى (٢١) . وقد لفت الدور الذى يقوم به علماء الأزهر فى التدريس وفى شئون القضاء فى السودان نظر بعض الاستعماريين البريطانيين خاصة بعد أن عهد لهؤلاء الأزهريين بتدريس الشريعة والقرآن الكريم والأدب فى كلية غوردون ذاتها فبرزت مكانتهم بين السودانيين من طلاب هذه الكلية التى قصدت بريطانيا من انشائها تخليد ذكرى غوردون وفى نفس الوقت تسهم فى تخريج جيل من السودانيين يدين بالولاء لبريطانيا (٢٢) .

---

(٢٠) شغل الشيخ محمد شاكر منصب وكيل الأزهر بعد عودته لمصر ، وكان له دور بارز فى تطوير الدراسة به .

(٢١) كان للشيخ مصطفى المراغى دور كبير فى تطوير المعهد العلمى فى أم درمان .

(٢٢) محمد عمر بشير : تطور التعليم فى السودان ص ٩٣ .

وقد زار الامام محمد عبده السـودان قبل وفاته بقليل بدعوة من تلاميذه ومريديه من العلمـاء وقد قوبل الامام فى السودان بحفـاوة بالغة النظير ـ مما جعل الادارة البريطانيـة تنظر بعين القـلق والفزع من نشـاط الأزهريين فى السـودان وتأثيرهم على الجماهير •

وقد اتجهت انجلترا الى اضعاف الصلات الدينية والثقافية بين مصر والسودان بأن توجد فى السودان هيئات تغنى عن هيئة كبار العلماء فى مصر وعن الأزهر •

وللوصول لهذا الهدف عين الجنرال ونجت الحاكم العام البريطانى فى ١٣ يونيه عام ١٩٠١ لجنة أطلق عليها اسم (لجنـة العلماء السودانيين) تكون بمثابة لجنة استشارية فى الشئون الدينية (٢٣) •

وكان عمل لجنة العلماء السودانيين أن ترسل بعوثا سودانية الى الأزهر ليتزود أفرادها بالعلم والمعرفة وليعودوا الى بلادهم لتولى مهنة التدريس فيها • غير أن ونجت كان يرى أن ذهاب السودانيين الى الأزهر وتلقيهم الدراسـة هنـاك قد يجعلهم

---

(٢٣) شكلت اللجنة لأول مرة من الشيخ محمد البدوى رئيسا ، والشيخ الضرير خالد ، والشيخ محمد عبد المـاجد ، والشيخ ابراهيم شريف الدولابى ، والشيخ محمد الأمين الضرير ، والشيخ الباقر اسماعيل اعضاء .

(أمر صـدر من سردار وحـاكم السـودان العام السير ونجت فى ١٣ يونية ١٩٠١ م ـ ٢٦ صفر ١٣١٩ هـ) .

ينشرون اراء وافكارا معادية للادارة البريطانية فى السودان .
كما انه كان يرى ان مجيء علماء مصريين من الازهر للتدريس فى السودان اكثر خطرا . ولذا راى ان ينشيء فى جامع ام درمان الكبير ما اطلق عليه اسم (المعهد العلمى) لتخريج طلبة من المعلمين والمثقفين لسد الفراغ . ووضع للمعهد لائحة للدراسة اقتبست من لائحة الازهر الشريف ومناهج التدريس فيه ، وقد تم انشاء المعهد فى عام ١٩١٢ وتخرجت فيه أفواج من العلماء وتطورت الدراسة به خاصة بعد ان طالب مؤتمر الخريجين العام فى السودان بعد تأسيسه بذلك ، بل انه طالب بضرورة الاتصال بين معهد ام درمان والازهر الشريف . واضطرت الادارة البريطانية أمام ضغط الرأى العام السودانى الى آن تستجيب لهذه الرغبة فسمحت فى عام ١٩٤٧ لبعثة من الأزهر للحضور للسودان والتدريس فى معهد أم درمان ، وانتدبت أحد مشايخه الأزهريين لادارة المعهد . هـذا وقد ساهم الأزهر كما ساهم عدد كبير من العلماء المصريين فى انشاء مكتبة علمية ضخمة للمعهد .

هذا وقد تطور القسم العالى بمعهد أم درمان فتحول الى كليات متخصصة فى شتى فروع الثقافة الاسلامية . وفى عام ١٩٥٧ انشيء قسمان بالمعهد أحدهما للشريعة الاسلامية والآخر للغة العربية ، وقد طورت الدراسة بمعهد أم درمان وأصبح جامعة اسلامية وصدر القانون الأساسى للجامعة فى

عام ١٩٧٠ وأصبحت جامعة أم درمان تضارع كبرى الجامعات الاسلامية الأخرى .

ولم تقتصر رسالة المعهد على السودان فقد أصبح يتردد عليه عدد من طلاب العلم والثقافة من البلاد الافريقيـة الأخرى كالصومال واتيوبيا وارتريا وأوغندا بل ومن السنغال وغيره من أقطار غرب افريقيا (٢٤) .

ثانيا ــ دور الأزهر فى شرق افريقيا :

علاقة العرب بشرق افريقيا ــ كما رأينا سابقا ــ قديمة والتأثيرات العربية فى شرق القارة قوية وواضحة ، ونستطيع أن نحسـها فى مختلف مظـاهر الحيـاة السياسية والاجتماعيـة والثقافية ــ لكن الاسـلام أعطى العرب دفعة جديدة وأهدافا وأسبابا للاندفاع لشرق القارة والتعامل مع سكان هذه المناطق والاندماج فيهم . وكان طبيعيا أن يلعب الأزهر الشريف دورا هاما ورئيسيا فى هـذا المجال خاصة بعد أن أصبح له دور دينى وثقافى واضح فى كل المجتمعات الاسـلامية التى احتك بهـا المسلمون ، ولعل محاولة تلمس هذا الدور فى كل من اثيوبيا وارتريا والصومال يعطى صورة عن ذلك .

ففيما يتعـلق باثيوبيا وارتريا فقد كانت ــ كمـا ذكرنا

---

(٢٤) Trimingham, S. : Islam in Ethiopia P. 60.

سابقا ـ أول منطقة هاجر اليها المسلمون وكان لهؤلاء المهاجرين أثرهم على الاثيوبيين ، ولاشك فى آن هـذه الهجرات الأولى لاثيوبيا زادت من الصلات بين المسلمين من عرب شبه الجزيرة وبين الاثيوبيين ، وقد ترتب على هذه الصلات أن دخلت قبائل برمتها مثل قبائل الجالا فى الاسلام (٢٥) .

ولاشك فى أن مصر لعبت دورا هاما فى نشر الاسلام فى الحبشة كما لعبت من قبل دورا فى نشر المسيحية فيها ، ومن تتبع كتب التاريخ والرحلات نعلم آن بعض العلماء المصريين من رجال الأزهر ـ كانوا يترددون على اثيوبيا وارتريا لتعليم أبنائها ، كمـا كان بعض الارتريين والاثيوبيين يفـدون لمصر لنفس الغرض (٢٦) .

وتوجد باثيوبيا بعض المعاهد الأهلية الاسلامية فى أسمرة ومصوع ، وكرن ، وأغودات ، وهرر .

وتشرف الجمعيات الخيرية الاسلامية على هـذه المعاهد وتزودها بحاجاتها من الكتب والأدوات المدرسـية ، ومناهجها قريبة من مناهج المعاهد الأزهرية المصرية بحكم أن واضعى هذه المناهج ممن تخرجوا فى الأزهر الشريف (٢٧) .

---

(٢٥) ارنولد ، توماس : الدعوة الى الاسـلام (ترجمـة د. حسن ابراهيم حسن) (١٩٤٧) ص ١٠٤ .

(٢٦) يوسف أحمد : الاسلام فى الحبشة (١٩٣٥) ص ٦٩ .

(٢٧) الأزهر فى ١٢ عاما ـ مرجع سابق ص ٢١ .

ومن أهم المعاهد المرتبطة بالأزهر معهد أسمرة الدينى الذى أنشىء فى عام ١٩٤٢ ، وتمد مصر طلاب المعهد بالكتب الدراسية كما تتحمل مرتبات مدرسى العلوم الشرعية والعربية به ، ويقوم بالتدريس فيه وطنيون من متخرجى الأزهر .

وبالأزهر رواق خاص بالوافدين من اثيوبيا والمناطق المجاورة (رواق الجبرت) ، ويحدثنا المؤرخ المشهور عبد الرحمن الجبرتى عن هذا الرواق والوافدين اليه (٢٨) .

ويقدم الأزهر بعض المنح للطلاب الاثيوبيين والارتريين للدراسة بمعهد البحوث الاسلامية وبجامعة الأزهر .

ثالثا ـ دور الأزهر فى الصومال :

هو دور بارز ؛ فقد انتشر الاسلام على نطاق واسع خاصة فى المدن الساحلية بالصومال ، ووجدت بهذه المدن عدة مدارس ومراكز اسلامية ، فعادة حيث توجد جماعات اسلامية يوجد من يقوم بشئون أطفالها فيعلمهم القرآن كما يؤم الناس فى الصلاة ويعرف الناس بشعائر الاسلام (٢٩) .

وفى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر سيطرت

---

(٢٨) الجبرتى ، عبد الرحمن : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار جـ ١ (١١٨٨ هـ) ص ٣٨٥ .

(٢٩) Trmingham, S. · Islam in Ethiopia P. 142.

مصر على شواطىء الصومال الشمالى والشرقى ، وفى عام ١٨٧٥ ضمت هرر الى أملاكها وأتاح ذلك فرصة لتدعيم الاسلام بل ونشره بين القبائل الوثنية ؛ وتردد المراجع أسماء عدد من رجال الأزهر وخرجيه الذين جاءوا الى هذه البلاد فى ظل ما هيأته الادارة المصرية من أمن وأمان وكان دورهم واضحا وأثرهم بارزا فى حياة السكان وسلوكهم •

وفى عام ١٨٨٤ أجبرت بريطانيا مصر عقب الثورة العرابية على اخلاء هذه الجهات فضمت الصومال الشمالى اليها (فيما عرف بالصومال البريطانى) ، وقد قاومت قبائل الصومال الاحتلال البريطانى بشمال الصومال كما قاومت الاحتلال الايطالى لجنوبه ، واضطرت الدولتان الاستعماريتان لتوجيه الحملات لقمع هذه الحركات الوطنية ونجحت فى ذلك بعد جهد ، وان كان نفوذها لم يتعد فى كثير من الأحيان المناطق الساحلية ، ولاشك فى أن المستعمرين سواء الانجليز أم الايطاليين كانوا يخشون بالذات من ارتباط الحركة الوطنية القومية بالحركة الاسلامية الدينية ، فقد اتخذت الحركة الوطنية صورة الجهاد ضد المستعمر الأوربى المناهض للدين الاسلامى •

وقد ضعفت الصلات بين الأزهر والصومال أثناء الاحتلال الايطالى ، فقد كان الايطاليون يخشون من أثر هذه الصلات فى اذكاء الروح القومية بين الوطنيين ، وكان الايطاليون يشجعون

تعلم الوطنيين اللغة الايطالية — لكن تمكن بعض الصوماليين من افتتاح مدرسة يتعلم فيها الصوماليون اللغة العربية والدين ، وكان يشرف عليها أحد الصوماليين ممن درسوا بالأزهر (٣٠) .

وفى الفترة التى أعقبت الحرب العظمى الثانية طلب الصوماليون من مصر المساعدة فى انشاء مركز ثقافى عربى ومسجد وعيادة طبية ومدرستين ثانويتين احداهما للبنين والأخرى للبنات . وقد وافقت الادارة الايطالية فى عام ١٩٥٢ على ذلك ، كما منحت مصر عددا غير قليل من طلبة الصومال منحا للدراسة فى الجامعة الأزهرية والجامعات المصرية . وقد نجحت بعض الجماعات الوطنية فى الصومال فى انشاء مدارس أهلية فى مقديشيو وغيرها من المدن الهامة بالصومال تهتم بنشر اللغة العربية ويدرس بها صوماليون ممن تعلموا فى المدارس المصرية وفى الأزهر الشريف .

وبعد حصول الصومال على استقلاله فى عام ١٩٦٠ بدأ تنفيذ سياسة تعليمية وطنية كما بدأ منذ عام ١٩٦٩ فى انشاء

---

(٣٠) ظل الصومال الايطالى بعد هزيمة ايطاليا فى الحرب العالمية الثانية تحت الادارة البريطانية حتى عام ١٩٤٩ وقررت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الرابعة فى عام ١٩٤٩ ان تصبح الصومال دولة مستقلة ذات سيادة على أن يتم تنفيذ الاستقلال فى نهاية عشر سنوات يوضع الصومال خلالها تحت الوصاية الدولية ، وعهد بها لايطاليا يساعدها مجلس استشارى من ممثلى كولومبيا ومصر والفلبين واخيرا وافقت هيئة الأمم المتحدة فى نوفمبر عام ١٩٦٠ على استقلال الصومالين البريطانى والايطالى واتحادهما باسم جمهورية صوماليا .

جامعة مقديشيو واستعان فى ذلك بالدول الصديقة وفى مقدمتها مصر •

وقد توافد الطلاب الصوماليون على مصر للدراسة بالأزهر ، وكان لهم رواق خاص (رواق زيلع) ، وقد نجحت البعثة التعليمة الأزهرية للصومال فى افتتاح معهد الدراسات الاسلامية بمقديشيو فى عام ١٩٥٣ • وفى عام ١٩٥٦ تم افتتاح معهد دينى فى مقديشيو عام ١٩٥٩ التحق به عدد كبير من الشبان الصوماليين كما افتتح معهد آخر فى مدينة (برعو) فى عام ١٩٦٠ ، وتوالى بعد ذلك تأسيس المعاهد الدينية • وقد شجعت الحكومة الوطنية فى الصومال بعد الاستقلال التوسع فى افتتاح المعاهد والمدارس الدينية والمدارس العامة ، كما شجعت الاهتمام بالثقافة العربية والاسلامية التى يقوم بنشرها نخبة ممتازة من علماء الأزهر الشريف (٣١) •

ويهتم الأزهر بتزويد المعاهد الدينية فى الصومال ــ (معهد مقديشيو) ، معهد برعو ، ومعهد بربرة ، ومعهد هرجيسيا ، والمدارس الدينية والمدارس العامة ، ومعهد قسمايو ، ومعهد بيدوا ، ومعهد بلدوين ، ومعهد جلكعيو) ــ بحاجتها من الكتب والأدوات •

---

(٣١) حمدى السيد سالم : الصومال قديما وحديثا ج ٢ (مقديشيو ١٩٦٢) ص ٤٩٠ •

هذا بالاضافة الى المعاهد الدينية التى انتشرت فى قرى الصومال وفى المناطق الريفية ، كذلك المدارس القرآنية • وترتب البعثة الأزهرية بالصومال أمر القائمين بالتدريس فى هذه المدارس التى تشبه (الكتاتيب) فى مصر •

والحقيقة أن نشاط البعثة الأزهرية فى الصومال بعد الاستقلال شمل عدة مجالات بالاضافة الى مجال التعليم فى المعاهد والمدارس المختلفة فقد اهتم أعضاء البعثة بالقاء المحاضرات الأدبية والدينية فى المركز الثقافى الاسلامى والأندية العلمية والمساجد ، كما اهتموا بالمشاركة فى مختلف المناسبات الدينية والوطنية ، كما أصدر أعضاء البعثة مجلة شهرية حافلة بالمقالات والتحليلات القيمة ، كما كان رجال البعثة المرجع فى شرح الغامض فى المواقف المختلفة •

هكذا لعب الأزهر ورجاله دورا فعالا وقويا ومؤثرا فى نشر الاسلام والثقافة العربية فى شرق افريقيا ، ومن شرق القارة تغلغلت هذه الآثار الى الداخل وظهرت آثارها فى وسط القارة •

ولاشك فى أن الأمل معقود على أن تتزايد هذه الآثار وتتضاعف أكثر بعد ان تدعمت الدراسة بالأزهر وازدادت العناية بالدور الذى يقوم به فى مصر والخارج •

رابعا ــ دور الأزهر فى شمال افريقيا :

كان استيلاء المسلمين على مصر فى عام ٦٤١ ايذانا بامتداد سلطانهم غربا صوب الشمال الافريقى فتوالت سلالتهم على هذه البلاد حتى دخل الشمال الافريقى كله فى كنف الدولة العربية العظيمة .

وكان ظهور الدولة العبيدية الفاطمية فى البداية فى الجزائر حوالى سنة ٢٧٩ هـ ــ ٨٩٢ م حيث استطاع العبيديون تأسيس دولة شيعية انتسبت الى فاطمة الزهراء زوجة على بن أبى طالب وابنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفى عهد المعز لدين الله سير قائده جوهر فى جيش استولى على مصر وبنى مدينـــة القــاهرة فى ٥ رمضـــان ٣٦٢ هـ (٩ يونيه ٩٧٣ م) ، ثم بنى الجامع الأزهر كما وضحنا سابقا .

على أن الأحداث التى ألمت بشمال افريقية بعد ذلك أدت الى قيام دول منفصلة فى أقطاره ، فقامت الدولة الحفصية فى تونس ، والدولة المرينية فى المغرب الأقصى ، والدولة الزيانية فى المغرب الأوسط (٣٢) .

على أن مصر ظلت دائما تهتم بما يجرى من أحـــداث فى

---

(٣٢) لمن يريد التفاصيل عن هذه الاحداث يرجع الى :
شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ١٩٧٧ .

المغرب ، كما أن عددا من المغاربة كان يلوذ بمصر هربا مما يحيق بهم من أخطار فى بلادهم ، فقد أصبحت مصر وطنا ثانيا لكثير من المغاربة حيث طاب لهم المقام فى التكايا والخوانق والزوايا .

ومن مظاهر العلاقات بين مصر ودول المغرب أيضا وفود جماعات الحجاج كل سنة الى القاهرة واقامتهم بها مدة قبل التجهز للسفر الى الحجاز ، وقد هيأت فرصة موسم الحج مجالا للتراسل والمهاداة بين ملوك المغرب وسلاطين مصر .

على أن وجود الأزهر ــ أكبر جامعة اسلامية فى العالم العربى ــ فى مصر ، جعل لمصر مكانة خاصة لدى المغاربة ــ فكان يفد اليه طلاب المغرب لطلب العلم . وقد جاء فى كتب التراجم مثل (الدرر الكامنة) و (الضوء اللامع) خبر كثيرين ممن رحلوا الى مصر من المغرب لتلقى العلم فى الأزهر أو الاستزادة من علمائه ، وقد فضل بعضهم العودة الى بلاده بعد أن يأخذ قسطا من التعليم فيعلو ذكره هناك بينما آثر البعض الآخر الاقامة بمصر (٣٣) .

وممن وفد الى مصر من علماء المغرب عبد الرحمن بن خلدون جاء الى مصر لائذا بها مما لقيه فى معترك الاضطراب السياسى فى شمال افريقية ، ووصل الاسكندرية فى عيد الفطر عام ٧٨٤هـ/

---

(٣٣) الدرر الكامنة جـ ١ ص ٤١١ ــ ٤١٢ .

١٣٨٢ م . ثم انتقل الى القاهرة وقام بالتدريس بالجامع الأزهر واعترف بما لعلماء مصر من الباع الطويل فى العلوم . وفى مصر عكف ابن خلدون على تصحيح كتابه العبر ومقدمته وقد مات ابن خلدون فى مصر فى عام ٨٠٨ هـ .

وقد شجع الانقسام والتعصب ــ الدول الاوربيه الطامعة فى بلاد المغرب على تحقيق أطماعها فى دول المغرب . وقد افتتحت البرتغال وأسبانيا صفحة الاستعمار الأوربى للبلاد العربيــة فى شــمال افريقية بهجومها على بــلاد المغرب الافريقى ، ونجح الأتراك العثمانيون بعد أن بسطوا نفوذهم على مصر فى أوائل القرن السادس عشر فى أن يبسطوا نفوذهم على الجزائر وتونس وليبيا وحالوا فترة من الزمن دون وصــول الاطماع الأوربيــة الى هذه البلاد ــ لكن ما أصاب الدولة العثمانيــة من ضعف فيما بعد ، وما أصاب العالم العربى من ركود ــ ســهل على الدول الاستعمارية الأوربية تحقيق أطماعها فى هــذه البلاد . فاستولت فرنسا على الجزائــر فى عــام ١٨٣٠ وعلى تونس فى عــام ١٨٨١ كما استولت على المغرب فى عــام ١٩١١ واقتسمت الأمر فيه مع أسبانيا التى كان من نصيبها منطقة الريف ، بينما استطاعت ايطاليا فى عــام ١٩١١ أن تمد نفوذها الى ليبيا ، وكانت بريطانيا قد فرضت حمايتها على مصر منذ عام ١٨٨٢ .

وقد حاولت فرنسا فى البلاد التى خضعت لها بشــمال

افريقيا أن تقضى على الثقافة العربية فكانت سياسة الاستيعاب أو الفرنسة هى طابع الاستعمار الفرنسى ، ولذا عمدت فرنسا للحد من نشاط جامع الزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب ، كما لم تنظر بعين الارتياح لجهود الازهر ورجاله فى نشر الثقافة العربية والدينيه بين طلاب شمال افريقيا الخاضعة لسيطرتها . ورغم ذلك فقد نجح بعض العلماء الجزائريين فى عام ١٩٣١ فى تأسيس جمعية رسمية كان يرأسها عبد الحميد بن باديس أحد خريجى جامع الزيتونة لخدمة الأغراض الدينية .

على أن السياسة التى اتبعتها فرنسا فى تشجيع تعلم اللغة الفرنسية والاداب الفرنسيه والتاريخ الفرنسى وفتح المعاهد والمدارس لهذا الغرض واتاحة فرص العمل أمام ممن يتقنون الفرنسية ومن يتطبع بطباعهم وعاداتهم — واعتبار الفرنسية اللغة الرسمية ولغة المعاملات — أدى كل هذا لخلق جيل يجهل الكثير عن لغة وأداب بلده وحضارته بل وتعاليم دينه ، فقد كانت مناهج المدارس تسير على النظام الفرنسى بينما كان المسلمون الذين يصرون على أن يتعلم أولادهم فى المراحل الأولى القرآن واللغة العربية والتاريخ العربى لا يجدون فى المدارس التى تدعمها الدولة المستعمرة أو فى المدارس التى تسير

على النظـام الفرنسى ما يشجع على ارسال اولادهم للتعليم ـ ولذا فشت الأمية بين المواطنين فى هذه البلاد (٣٤) •

واذا اضفنا الى ذلك أن المدارس الثانوية التكميلية التى أنشئت كان التعليم فيها باللغة الفرنسيه . وكانت هنـاك حدود للسن تفيد دخول الوطنيين ـ أدركنا أن هـذه المدارس انشئت أصلاً لخدمة أبناء المستوطنين الفرنسيين ـ ولذا كانت نسـبة الأطفال الذين يرتادون المدارس ممن هم فى سن التعليم فى هذه البلاد التى خضعت للاستعمار الفرنسى لا تتعدى ١٠٪ (٣٥) •

ولذلك كانت المشكلة العامة التى واجهت هذه الأقطـار الثلاثة (الجزائر ، وتونس ، والمغرب) بعد الاسـتقلال هى محاولة تعريب التعليم ، والعمل لاستعادة هذه البلاد لوجهها العربى . وتقويم الأوضاع السيئه المترسبة من عصر الاستعمار • وفى هـذا المجال برز دور الأزهر ورجاله وبعثاته • والاحصاءات عن أعداد الطلاب الوافدين الى الأزهر من بلاد شمال افريقيا وعن البعوث الأزهرية الى هـذه البلاد ناطقة بهـذه الجهود المشكورة (٣٦) •

---

(٣٤) Thompsdon, Nirginia & Adolf, Richard : French West Africa (London 1958). P.30

(٣٥) كلود ، هنرى ، برتان أندرية ، لوكرست اينى : الاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى (د.ت) ص ٢ .

(٣٦) جامعة الأزهر ادارة التخطيط والاحصاء ـ كذلك احصاءات ادارة البعوث ـ مجمع البعوث الاسلامية .

ولا يختلف الوضع فيما يتعلق بليبيا عن الوضع فى المستعمرات الفرنسية فقد أصدر مجلس الفاشست الأعلى قانون الجنسية بهدف تشجيع التجنس بالجنسية الايطالية واتقان اللغة الايطالية • وحرم الايطاليون على العرب تأسيس النوادى الأدبية أو العلمية أو الاجتماعية كما منعت الصحف المصرية من الوصول الى ليبيا ، وغيرت أسماء الشوارع والميادين كلها وأطلقت عليها أسماء ليبية ، ولم يبق من المدارس العربية الا القليل • وفى الوقت الذى كانت تعانى فيه هذه المدارس من قلة الأجهزة العلمية الضرورية — كانت المدارس الايطالية مجهزة بالأجهزة والوسائل التعليمية الحديثة ، وتفشت الأمية بين السكان الليبيين وأصبحوا يجهلون كل ما يمت لحضارتهم وتاريخهم بصلة ، وحالت أيطاليا دون سفر الليبيين لمصر للالتحاق بمدارسها ومعاهدها ، وبالأزهر الشريف ، كما حاولت دون حضور رجال الأزهر الى ليبيا للقيام بواجبهم نحو اخوانهم الليبيين • وقد ظل الأمر كذلك حتى هزمت قوات المحور وانتهى الأمر بتقسيم ليبيا الى ثلاث ادارات عسكرية ادارة انجليزية فى كل من برقة وطرابلس وادارة فرنسية فى فزان — واستمر الوضع كذلك حتى قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٤٩ أن تكون ليبيا التى تشمل برقة وطرابلس وفزان دولة واحدة مستقلة ذات سيادة على أن يتم ذلك فى موعد لا يتجاوز أول يناير ١٩٥٢ •

وكان على الليبيين بعد حصولهم على الاستقلال أن يقوموا هم أيضا بتعويض ما فاتهم نتيجة سنوات الاستعمار وسياسته ، وقد برز دور الأزهر أيضا فى هذا المجال •

خامسا ــ دور الأزهر فى غرب افريقيا :

منذ أن فتح العرب مصر وامتد نفوذهم لشمال افريقيا وقامت فى شمال افريقية دول اسلامية قوية أخذ الاسلام ينتشر الى غرب افريقية وما كان يطلق عليه السودان الغربى ، وانتهى الأمر بتكوين ممالك بل امبراطوريات اسلامية فى غرب افريقية (مملكة غانا ، ومملكة مالى ، ومملكة سنغاى ، ومملكة برنو ، وكانم) ــ دول تتجه بوجهها شمالا الى المغرب وشرقا الى مصر وسودان وادى النيل والجزيرة العربية مهد الاسلام ، فلم تكن الصحراء الكبرى عامل فصل بل معبرا عبرته التجارة والحضارة وظلت طريقا رئيسيا تعبره القوافل طوال العصور الوسطى والحديثة حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر • وكان أداء فريضة الحج وطلب العلم من أبرز ما ربط بين مصر ودول شمال افريقيا •

وقد كثر الحديث عن حج سلاطين دول غرب افريقيا ورعاياهم ومرورهم بمصر فى طريقهم الى الحجاز ، وكانوا يستقرون بمصر زمنا ليس قصيرا حتى يتهيأ ركب الحجاج والمحمل الى مكة • والطريق الذى درج حجاج تلك النواحى

على سلوكه هو الدرب الصحراوى المعروف بطريق غات والذى يبتدىء من مدينة غات نفسها وينتهى عند الأهرام بالجيزة (٣٧).

ومن أشهر مشاهد الحج التى ذكرت فى التاريخ الذى كان على رأسه منسا موسى سلطان مالى والذى قدم مصر سنة ٧٢٤ هـ ـ ١٣٢٣ م . وقد ذكر العمرى فى مسالك الأبصار الكثير عن أنباء ذلك الركب التكرورى الذى ظل الناس يتحدثون عن أخباره بعد رحيله بسنين ـ فأشار الى أن ذلك الملك امتاز عمن سبقه من ملوك التكروريين ممن قدموا الى مصر بما أحاط به نفسه من مظاهر الترف .

ومما يذكر أن هذا السلطان انتهز فرصة وجوده بمصر فابتاع جملة من الكتب ليوفر لأهل مملكته طرفا من مناهل الثقافة الاسلامية .

ويقال أن مدرسة تنبكتو ـ المدينة التى أنشئت حوالى عام ١٣٢٥ م ـ كانت تحاول أن تحتذى بالأزهر فى أساليبها التعليمية ، كذلك يبدو أن سلاطين هذه البلاد كانوا يغرون العلماء والفقهاء للحضور لعاصمتهم ، فاحاطوا أنفسهم بعدد من هؤلاء العلماء والفقهاء . وقد ذكر ابن بطوطة والذى زار سلطان مالى منسا سليمان (١٣٣٨ ـ ١٣٦٢) الذى خلف منسا موسى

---

(٣٧) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٤٠ ـ ٤٣ .
والعمرى : مسالك الامصار ص ٩٥٤ ـ ٩٥٥ .

« انه وجد حوله حاشـية من ثلاثين عالمـا وفقيها من علمـاء وفقهاء مصر » (٣٨) .

وقد برزت عدة مراكز حضارية فى غرب افريقيا اجتذبت طلاب العلم من كل أجزاء غرب افريقيا (٣٩) .

كما اشتهرت بعض مساجدها مثل جامع سنكورى الذى كانت له مكانة تشبه مكانة الجامع الأزهر ، وعمرت مكاتب هذه المساجد بالكتب التى حرص السلاطين على جلبها من مصر وغيرها من البلاد الاسلامية .

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر استطاعت القوى الاستعمارية فى غرب افريقيا أن تتوغل فى مراكزها الساحلية ، وتسيطر على الدول الاسلامية الداخلية فى غرب القارة وتوجهها نحو الموانى المحيطية ، وظل الأمر كذلك حتى استطاعت دول غرب افريقية أن تستقل وتعيد علاقاتها وروابطها الحضـارية مع المغرب ومصر (٤٠) .

---

(٣٨) ابن بطوطة : جـ ٤ ص ٣٩٧ .

(٣٩) Hogben : Mahammdan Emirates of Nigeria P. 51.

(٤٠) عبد العزيز كامل (دكتور) : جغرافية الاسلام فى افريقيا (د.ت) ص ٧٧ .

ملاحظـة : سنعرض للحديث عن أثر الأزهر فى قيام الحركات الاصلاحيـة فى غرب افريقيا فيما بعد .

ـ واذا كانت الروابط الحضارية بين مصر وغرب افريقيا قد ضعفت فى عهد الاستعمار ــ لكن لم تلبث هــذه البلاد بعد حصولها على استقلالها أن عاودت علاقاتهــا بمصر ، وعقــدت المعاهدات الثقافية والاقتصادية بين مصر ودول غرب افريقيــا المستقلة ، وتعددت المؤتمرات وكثرت زيارات رجــال الأزهر لهذه البلاد كما تعددت وفود هذه البلاد لمصر للالتحاق بالأزهر وتلقى العلم فى جامعته ومعاهده •

وقد وقعت بين مصر والدول الافريقية المستقلة فى غرب افريقيا اتفاقيات للتعاون فى المجال الثقافى والاقتصادى كما وقعت بروتوكولات طويلة الأجل واتفاقيات عسكرية وفنية (٤١) •

هذا وللأزهر اتصالات بالجمعيات الاسلامية فى دول غرب افريقيا كالاتحاد الثقافى ، والمجلس الأعلى الاسلامى ، واتحاد مدرسى اللغة العربيــة بساحل العــاج • ويزود الأزهر هــذه الجمعيات بحاجتها من الكتب والمراجــع الدينيــة وغير ذلك مما تحتاجه لاتمام رسالتها (٤٢) •

---

(٤١) عن بعض هذه الاتفاقيات (انظر) :

محمــد عبد القــادر أحمــد (دكتور) : المســلمون فى غينيــا ١٩٨٦ ص ص ١٢٨ ــ ١٣٠ •

(٤٢) كونى عبد الرحمن : الاسلام والمسلمون فى ساحل العاج (١٩٨٢) ص ١٦١ وما بعدها .

ولاشك فى أن الأمل معقود على مضاعفة هذه الصلات بين مصر وهذه البلاد الافريقية فى المستقبل .

ونشـير ونحن بصـدد الحديث عن دور الأزهر فى غرب افريقيـا الى أن من مجـالات نشاط رجال الأزهر فى هـذه البلاد ـدورهم فى تعليم اللغة العربية والدين الاسلامى فى البلاد الاسلامية غير الناطقة بالعربية ، ونشير بالذات الى هـذا الدور داخل نطاق (الاتحـاد العالمى للمدارس العربيـة الاسـلامية الدولية) ، وللاتحاد مراكز تربوية احداها فى القاهرة ، كما أن الأزهر يسهم بدور فعال فى تدعيم مدارس ومراكز التعليم الدينى الاسلامية فى غرب افريقيـا وتزويدها بحاجتها من المدرسـين والكتب والأدوات .

الطرق الصوفية والحركات الاصلاحية في افريقيا ودور الأزهر فيها

محتويات الفصــل :

- ظهور علماء فى الأقطار الافريقية متأثرين بما تعلموه من مبادىء الاسلام وتعاليمه .
- الطرق الصــوفية تجد فى افريقيــا مكانا مناسبا لها (القادرية ــ التيجانية) .
- الحركة السنوسية كممثل للحركات الدينية التى عملت للعودة بالاســلام لمبادئه الأولى وجاهــدت ضــد الاســتعمار .
- الحركة المهدية واتصالها بالسنوسية والاختــلاف بين القائمين بالحركتين .

— الحركات الاصلاحية فى غرب افريقيا وهدفها ودورها
أمثلة لهذه الحركات :

(أ) حركة عثمـان بن فودى ونشاطه بين قبائـل
الفولانى وفى امارات الهوسا .

(ب) حركة الشيخ أحمد ولوبو فى ماسينا .

(جـ) حركة الحـاج عمر التكرورى .

— تأثر رواد هذه الحركات بالأزهر وتعاليمه.

— دورهم فى نشر تعاليم الاسـلام ومبادئـه
والثقافة العربية فى غرب القارة وتصديهم
للاستعمار الأوربى .

رأينا أن مناطق شاسعة من القارة الافريقية تأثرت بالحضارة الاسلامية العربية فى وقت مبكر منذ أن مد العرب نفوذهم الى شمال القارة وغربها وشرقها ، وساهمت هـذه الحضارة العربية الاسلامية مساهمة فعالة فى التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى البلاد التى امتدت اليها . ولم يهدف الاسلام الى هدم المجتمعات القديمة بكل مقوماتها بل تطويعها للدين الجديد وما يأمر به وما ينهى عنه .

وبرز فى هذه الأقطار الافريقية علماء وفقهاء تركوا لنا ثروة علمية وفقهية فى مختلف مجالات العلوم الاسلامية والانسانية ، ومازال الكثير منها حبيس دور الوثائق ، غير ما نقل من هـذه الثروة للمكتبات الأوربية ، وما فقد منها . وهذه الثروة العلمية التى تركها علماء أفارقة تأثروا بالتعاليم الاسلامية وتفقهوا فى الدين والعلم وجددوا ــ جزءا من تراثنا الاسلامى العربى يجدر

بنا أن نبذل جهودا مضاعفة للحفاظ عليها وللبحث عنها فى نطاقهما وأن نلقى عليها الأضواء .

وقد ارتبط ازدهار الثقافة الاسلامية العربية فى افريقيا وفى غربها بالذات بانتشار الطرق الصوفية ـ فقد اتاحت الظروف البيئية فى افريقيا فرصة لهذه الطرق لتنتشر وتزدهر ، خاصة التيجانية والقادرية وما انبثق عنهما من طرق فرعية أخرى . وقد لعبت هذه الطرق وأتباعها دورا كبيرا فى نشر الثقافة الاسلامية فى هذه الجهات وفى مقاومة الاستعمار الأوربى فيما بعد حين اندفع الى المنطقة طامعا فى ثرواتها متسلحا بما أمدته به النهضة الأوربية من أسلحة مكنته من اختراق المناطق المجهولة (١) .

وقد زاد عدد أتباع الطرق الصوفية ولاسيما بين المشتغلين بالتجارة من العلماء والفقهاء ، وقد أصبح كل مسلم تقريبا

---

(١) نشأت القادرية فى العراق فى القرن الحادى عشر الميلادى وتنسب الى سيدى عبد القادر الجيلانى ، وقد انتقلت بعد ذلك لمناطق عدة من العالم الاسلامى . واول من نشر القادرية فى بلاد السودان الغربى سيدى أحمد البكاء والشيخ محمد عبد الكريم المغيلى التلمسانى فى القرن الخامس عشر الميلادى ، ولا تكاد تخلو دولة من دول غرب افريقيا من أتباع الطريقة القادرية .

أما الطريقة التيجانية فتنتسب للشيخ أحمد بن محمد التيجانى ، وقد نشرها فى غرب افريقيا الحاج عمر الفوتى وقد انتشرت فى السنغال وفى نيجيريا وغيرها .

انظر أرنولد ، توماس : الدعوة الى الاسلام ترجمة د. حسن ابراهيم حسن (١٩٥٩) ص ٣٦٥ .

يرى لزاما عليه أن يرتبط باحدى هـذه الطرق الدينية . وأقام اتباع هذه الطرق الزوايا للعبادة ولايواء الوافدين المحتاجين للمأوى والطعام وللاعتكاف بعيدا عن زخرف الحياة وملذاتها للدرس والتفقه فى شئون الدين ، وكانت لكل طريقة تنظيماتها وأعضاؤها وعلى رأسهم شيخ الطريقة ، كذلك لها أورادها وتقاليدها الخاصة ، هذا وان كانت جميع تلك الطرق ترمى الى غاية واحدة وهى الوصول بالنفس الانسانية الى درجة الكمال ـ لكن الوسيلة لتحقيق هـذه الأهداف اختلفت من طريقة لأخرى .

وقد انتشرت القادرية بالذات فى السودان الغربى خاصة فى القرن الخامس عشر ، وانتشر أتباع هـذه الطريقة من الفقهاء المريدين من السنغال الى مصب النيجر وأقاموا المراكز لبث دعوتهم فى مختلف الجهات ، بل نظموا البعوث الى الأزهر الشريف والقيروان والمعاهد الدينية الأخرى التى اشتهرت فى العالم الاسلامى ، وانتشرت القادرية فى جنى وتمبكتو وغيرهما من العواصم بغرب افريقيا وتفرعت منها نظم جديدة اتخذت أسماء أخرى تنتسب الى الشيوخ الذين اعتنقوها وعملوا على نشرها .

أما التيجانية فقد ازدهرت أيضا فى غرب افريقيا بالذات وانتشر اتباعها فى حوض السنغال وكذلك فى تمبكتو وسيجو ، وأسسوا الزوايا فى كانو ، وبرنو ، ووادای ، وشنقيط ،

واستمرت الطريقة التيجانية فى النمو والازدهار وزاد عدد اتباعها حتى أصبحت الطريقة السائدة فى كثير من بلدان غرب افريقيا (٢) .

وكما ذكرنا فان هذه الطرق الصوفية لعبت دورا هاما وخطيرا فى مقاومة الدول الاستعمارية حين حاولت مد نفوذها للأقطار الافريقية ـ وان كان الدور الذى لعبته هذه الطرق الصوفية فى مقاومة الاستعمار لم يكشف عنه النقاب تماما الى الآن اذ أن اتباع هذه الحركات والمريدين الذين التفوا حولهم اعتبروا الجهاد السياسى المتصل بالوطن وحريته والوقوف فى وجه أعدائه والمغتصبين جزء من واجبهم لا ينفصل عن الجهاد فى سبيل نشر الدين . ومعظم المراجع الأجنبية على وجه الخصوص تعالج الأمر على أنه ثورات من أفراد خارجين على القانون وعلى النظام ، فواجبنا يحتم علينا أن نضع هذه الحركات الوطنية فى مكانها الصحيح .

وقد أدى تبنى هذه الحركات لقضية الجهاد الوطنى الى شعبيتها واندفاع الشباب بالذات للانضمام اليها .

---

(٢) لمن يريد التوسع فى دراسة التيجانية يرجع الى :

أ ـ ابو العباس احمد بن احمد العياشى : كشف الحجاب على من تلقى مع التيجانى من الأصحاب (فاس ١٣٢٥ هـ) .

ب ـ جواهر المعانى وبلوغ الأمانى فى منقى الشيخ التيجانى ـ المعروف بالكناش (القاهرة ١٣٤٥ هـ) .

فكما ذكرنا لايوجد شاب فى غرب افريقيا الا وانضم لهذه أو تلك من الحركات الصوفية ، ونحن لا نستطيع أن نلم بجميع الحركات الصوفية أو الدينية أو ما تفرعت عنها من حركات فى افريقيا والدور الدينى أو السياسى الذى قامت به — لكن نشير لبعضها .

فمثلا من الحركات التى برزت فى شمال افريقيا والتى كان لها دور فى مواجهة الاستعمار — الحركة السنوسية وهى التى تنتسب الى محمد بن على السنوسى ، ويرجع نسبه الى ادريس الأكبر أول خلفاء الأدارسة بالمغرب ثم الى على بن أبى طالب وزوجته فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقد ولد السنوسى الكبير حوالى عام ١٧٨٧ بالقرب من مستغانم فى الجزائر ، وتتلمذ على فقهاء وعلماء عصره فى مستغانم ، وفاس ، ومصر ، والحجاز ، وقد قام برحلة الى الحجاز وعاد منها الى مصر حيث اتصل بعلماء الأزهر فى القاهرة وانتهى به المطاف الى برقة حيث أسس الزاوية البيضاء بها فى أواخر عام ١٢٥٨ هـ — ١٨٤٢ م ولما بنيت زاوية جغبوب فى عام ١٨٥٦ انتقل اليها وأصبحت مركزا للدعوة السنوسية .

والدعوة السنوسية كما يفهم مما تركه السنوسى الكبير من

---

(٢) الاشهب ، محمد الطيب بن ادريس : السنوسى الكبير ١٩٥٦ ص ٧ .

مؤلفات (٤) كانت تدعو الى العودة بالاسلام الى ما كان عليه فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين ونبذ ما جد من أشياء أخرى تتنافى وتعاليم الاسلام الصحيح ، فقد كان الدعاة السنوسيون يطالبون الناس بالتمسك بمبادىء الاسلام الصحيحة •

وقد كانت الزوايا السنوسية تشتمل على فصول للدراسة وأماكن لايواء الطلبة والمدرسين ، وقد عمرت جغبوب وغيرها من زواياهم بالعلماء واشتهرت بخزائنها العلمية •

وقد كان السنوسى الكبير غزير العلم ، مغرما باقتناء الكتب عن الشريعة الاسلامية وعلم الفقه والتصوف والفلسفة والتاريخ ، والتفسير ، وعلم الفلك ، وقد برزت أسماء عدد غير قليل من السنوسيين فى سائر العلوم النقلية والعقلية (٥) •

وقد تحاشت السنوسية منذ البداية الدخول فى أمور السياسة ، فتجنب السنوسيون الاصطدام بالدولة العثمانية

---

(٤) من مؤلفاته التى طبعت :

ـ ايقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن (الجزائر ١٣٢٨ هـ).

ـ الدرر السنية فى اخبار السلالة الادريسية (القاهرة ١٩٤٣) .

ـ مقدمة موطأ الامام مالك (القاهرة ١٢٨٥ هـ) .

ـ المسائل العشر او بغية المقاصد وخلاصة المراصد (القاهرة ١٩٢٩).

ـ السلاسل العشرة فى الاحاديث النبوية (القاهرة ١٢٥٧ هـ) .

(٥) Pritchard Evans : The Sanusi of Cryenaica (Oxford 1949) P. 17.

صاحبة النفوذ فى مصر وليبيا وتونس والجزائر ـ لكن حين بدأ الاستعمار الفرنسي والايطالى فى هذه البلاد العربية تصدى له السنوسـيون واعتبروا مقاومة المستعمرين نوعـا من الجهـاد المفروض على المسلمين وواجبا عليهم فكانت وقفتهم الباسلة ضد المستعمرين خاصة الايطاليين فى ليبيا (٦) •

ويجرى بعض المؤرخين مقارنـة بين الحـركة السنوسـية والحركة المهدية التى قامت فى السودان ، وهى حركة دينية أيضا قامت ضد الحـكم التركى والتدخل الأجنبى فى السـودان • والمعروف أن المهدى أراد بعد انتصاراته المتعددة واستيلائه على الأبيض أن يضيف الى قوته قوة السنوسيين ـ ولعله لمس تشابها فى الأهداف بين الحركتين ـ فدعا المهدى السنوسى ليقبل وظيفة الخليفة الثالث ، ولكن السنوسى احتقر دعوة المهدى لمـا صاحبها من عنف فلم يستجب لهذه الدعوة ولو بالرد عليه •

ويعطى لنا وينجت (Wingate) تفصيلات هذا الاتصال بين المهدى والسنوسى ، فيذكر انه بعد سـقوط الأبيض بفترة قصيرة وصل اليها مندوب من السنوسى عن طريق واداى لكنه

(٦) للمزيد من التفاصيل انظر :

محمود الشنيطى (دكتور) : قضية ليبيا (القاهرة ١٩٥١) •

محمد فؤاد شكرى (دكتور) : السنوسية دين ودولة (القاهرة ١٩٤٥) •

شـوقى الجمـل (دكتور) : المغرب العربى الكبير فى العصر الحـديث (القاهرة ١٩٨٠) •

شاهد غير ما كان يتوقع اذ شاهد ما أصاب المدينة على أيدى اتباع المهدى من التخريب فكل ذرة رمال كما يقول وينجت كانت ملطخة بالدم ، ورأى فى المهدى رجلا ذكيا لبقا فى حديثه — لكن كل ما كان يدور فى ذهنه كان هو أن يمد سلطته الى أبعد ما يستطيع ، وهـذا يناقض تماما الدعوة السنوسية فى بنـاء مجتمع على أسـاس مقاومة الانحرافات وتنميـة موارد الدولة بالعمل . ويقال إن المهدى لما لم يتلق ردا على خطابه الأول من السنوسى أرسـل خطابا ثانيا للخليفة محمد المهـدى ابن السنوسى الكبير وكان ذلك فى رجب ١٣٠٠ هـ (مايو ١٨٨٣ م) يدعوه فيه للحضـور اليه فى السودان للانضـمام لقواتـه والعمل معا (٧) .

ونشير الى أن محمد أحمد المهـدى الذى تزعم الحـركة المهدية رغم أنه يغادر السودان ويتصل بعلماء الأزهر وغيرهم كما فعل السنوسى — لكنه منذ نعومة أظافره ولع بالعلوم الدينية وغلب عليه الزهد والتصـوف وانصرف للعلم وللطرق الصوفية وتعلق بها ، وانه انضـم للطريقـة السمانيـة وشيخها الشيخ محمد شريف ولد نور الدايم وكان له مركز ممتاز عند استاذه ،

---

(٧) تفاصيل هذه الاتصالات ذكرها ونجت
Wingate, Major, F.R. : Mahdism and the Egyptian Sudan (London 1891) PP. 64 — 72.

وانه انضم الى شيخ آخر وهو الشيخ القرشي ، وانه كان يتضايق من أوضاع الناس السيئة فكان يشير الى جامع الضرائب الذى كان بمنتهى القسوة يجرد الراعى من آخر رأس من الغنم يمتلكها أو ينتزع من الزارع آخر حزمة من الذرة التى كان يحملها لغذاء أطفاله فيعلن للناس أن هذا انما يرجع لغضب الله على الناس بسبب انحرافهم ، لكن حان الوقت الذى ترسل السماء فيه المخلص الذى يرشد الناس للطريق السوى ويقودهم للقضاء على الظلم ويخلصهم من الأتراك القساة (٨) .

على أن انتشار الاسلام والثقافة العربية فى كثير من المجتمعات الافريقية لم يعن انه حدث تغيير جذرى وكامل فى هذه المجتمعات فقد حدث آن بقيت أو ظهرت بعد ذلك فى بعض المجتمعات خاصة فى غرب افريقيا عادات وتقاليد ومبادىء تغاير تماما ما دعا اليه الاسلام ، وأحدث هذا صدمة عنيفة لكثير من العلماء والفقهاء ، ولذا قامت فى هذه المجتمعات حركات تدعو الى المحافظة على المثل والقيم الاسلامية التى نص عليها الاسلام وشرائعه ، وقامت حركات للاصلاح تدعو للعودة الى الأصول

---

(٨) Elatin R. : Fer et feu au Soudan (Traduit de l'Edition Almenade par G. Bettex (le Caire 1898) T.I. P. 173.

الأولى للمجتمع الاسلامى كما كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد الخلفاء الراشدين (٩) • .

ويحاول بعض الكتاب أن يجدوا وجها للشبه بين هـذه الحركات الاصلاحيـه التى قامت فى غرب افريقيا وغـيرها من الحركات التى قامت فى أنحاء أخرى من العالم العربى ، كالحركة الوهابية مثلا التى قامت فى شبه الجزيرة العربيه • ولاشك فى أنه توجد بعض أوجه الشبه بين مبادىء هـذه الحركات وتلك الحركات وبين أهدافها ووسائلها ــ لكن توجد أيضا أوجه خلاف أملتها الظروف والبيئات التى قامت فيها كل منها •

ولقد تعددت حركات الجهاد هـذه فى امبراطوريات غرب افريقيا ــ على اننا نشير الى أن أهمية هـذه الحركات فيما نحن بصدد الحديث عنه ترجع الى أن معظم المصلحين الذين برزوا فى هذا المجال كانوا ممن تثقفوا بالثقافة الأزهرية وكانت لهم صلة برجال الفقه والدعـوة فى مصر ، وكانت لهم مراسـلات بينهم وأغلبهم استقر فى مصر فترة من الزمن واختلطوا برجال الدين فيها سواء وهم فى طريقهم الى الحج أم فى مناسبات أخرى •

ويصعب أن نلم بكل هذه الحركات الاصـلاحية أو ان

---

(٩) Willis, J. Ralf. : Jihad Fi Sabil Allah (Journal of African History Vol III No. 3 1967) P. 400.

نعطى فكره عن تاريخ الذين قاموا بها ــ لكن سنشير الى بعض هذه الحركات والدور الذى قامت به باعتبار أن ظاهرة الحركات الاصلاحية فى غرب افريقيا والتى برزت فى القرن التاسع عشر على الخصوص كانت ظاهرة هامة ميزت تاريخ غرب افريقيا فى هذه الفترة ..

ومن ابرز حركات الاصلاح التى قامت فى غرب افريقيا :

١ ــ حركة عثمان بن فودى :

ولد عثمان بن فودى فى عام ١١٦٩ هـ ــ ١٧٥٤ م من أسرة متدينة بامارة جوبير أحد أقاليم نيجيريا الشماليه ، ولذا نشأ نشأة دينية . وتلقى دروسه الأولى على يد أبيه فقد كان فقيها . ثم أقبل على علوم العربيــة يستزيد منها ، وانتقل الى أغاديس (Agades) شمال كانو حيث كانت مركزا للثقافة والعلم فى غرب أفريقيا ، واتصل بأحد شيوخ الطريقة القادرية ــ الشيخ جبريل بن عمر ــ وصار من أقطاب هــذه الطريقة ، ولعل ذلك أثر على حياته فنشأ صوفيا وربما فقيها يتمسك بتعاليم الاسلام ويدعو اليها ويحث الناس على التمسك بها (١٠) .

وبدأ الشيخ عثمان نشاطه بين قبائل الفلانى التى كان ينتمى

(١٠) عبد الله بن فودى : ضياء التأويل فى معــانى التنزيل (مطبعــة الاستقامة بالقاهرة) جـ ١ ص ٥ .

اليها فكان يعلم ويعظ ولا يكف عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١١) •

وقد ازداد عدد اتباع وتلاميذ الشيخ عثمان ولم يكن يوجه توجيهاته الى الحكام بل الى أفراد الشعب — لكن حين دعـاه آمير جوبير المدعو باوا (Bawa) للقدوم للامـارة وهى احدى امارات الهوسا واكرمه الأمير وسهل له آمر التحرك فى الامارة لوعظ الناس وارشادهم — ابتدأت الحركة ترتبط بالأوضـاع السياسية فى امارات الهوسا بصفة خاصة وفى غرب افريقيـا بصفة عامة (١٢) •

---

(١١) حسن احمد محمود (دكتور) : مرجع سابق ص ٢٨٨ •

ملاحظـة : اختلفت الآراء عن أصل قبائل الفولانى وهل هى اصلا من غرب افريقيا أم انها وفدت الى هـذه المناطق — والبعض يرى ان الفولانى من مصر العليا وانهم هاجروا غربا عبر شـمال افريقيا ثم واصلوا رحلتهم جنوبا . والعرب يطلقون عليهم اسم الفلاتا .

انظر : حسن احمد محمود : مرجع سابق ص ٢٨٦ •

وكذلك ابراهيم طرخـان (دكتور) : امبراطوريـة البرنو الاسـلامية ص ١٣٠ •

(١٢) الهوسا — قبائل انتشرت فى المنطقة التى تحدها الصحراء الكبرى شمالا وبرنو شرقا وثنية النيجر غربا وانتشرت فى الربوع الساحلية بخليج غانا ، وتوجو ، وداهومى ، وبنين ، والكمرون — وتقدر تعدادهم بـ ١٥ مليون نسمة . وقد دخلوا فى الاسلام منذ أوائل القرن الرابع عشر وأوائل الخامس عشر عن طريق التجار ، وهناك روايات متعددة حول أصلهم • وقد زار الرحـالة ابن بطوطة بلادهم فى عام ١٣٥٢ وذكر ان أغلبهم كان لايزال على الوثنية ، وقد أصبحت لهم =

فقد اصطدم الشيخ عثمان بن فودى بحكام جوبير الذين هالهم ما لقيته دعوته من انتشار ، وازدياد عدد أتباعه لدرجة أن حكام جوبير دبروا مؤامرة لقتل الشيخ مما اضطره للهجرة لمكان أمن حيث أصدر (وثيقة أهل السودان) التى دعا فيها

= لغة عرفوا بها وتعتبر الآن من أهم اللغات المعروفة فى نيجريا ، وهم يعملون بالزراعة والتجارة وبعض الصناعات الأولية .

وكانت القوافل تخترق بلادهم من الساحل الشمالى لافريقيا صوب الداخل ، وقد لعب محمد بن عبد القادر المغيلى دورا هاما فى نشر الاسلام بين قبائل الهوسا .

وقد كانت للهوسا عدة دويلات مستقلة على رأسها حكام منهم فى : جوبر وكانو ، ورانو ، وكتسينة ، وزارية . وان كانت قد خضعت اسميا فى أوائل القرن التاسع عشر لسلطة برنو — لكن الحروب كانت دائمة ومستمرة بين هؤلاء الحكام بعضهم والبعض الآخر وبينهم وبين سلطان برنو .

وقد استطاع عبد الله دان فودبو أن يخضع دويلات الهوسا لسلطانه، بعد حروب استمرت قرابة خمسة عشر عاما فدخلت قبائل الفولة بزعامته بلاد الهوسا .

لكن استطاعت انجلترا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر اخضاع بلاد الهوسا ، وعقدت مع كل من فرنسا والمانيا معاهدات اعترفت لها فيها هاتين الدولتين بسيادتها على هذه البلاد .

وقد أصبحت القبائل التى تتحدث اليوم لغة الهوسا متركزة فى الأقاليم الشمالية من نيجيريا (سكوتو ، وكانو ، وزارية ، وكتسينة ، وباوكى) بل يسكن بعض قبائلهم فى مالى بالسودان الفرنسى سابقا — انظر:

— دائرة المعارف الاسلامية مادة حوصة .

— عبد الرحمن زكى (دكتور) : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية (١٩٦١) ص ص ١٩١ — ١٩٢ .

للجهاد ضد الذين يقفون فى وجه الدعوة الاسلامية وشرح مبررات الجهاد (١٣) .

وقد استجابت جماعة الفولانى لنداء الشيخ وهبت لنصرته ضد حكام بلاد الهوسا وقد تحركت قوات امارة جوبير للاغارة على الأماكن التى تجمع فيها أتباع الشيخ ـ لكن قوات الشيخ استطاعت أن توقع الهزيمة بالمهاجمين (١٤) .

ولم تتوقف الحرب بين الطرفين بل استمر القتال واستطاعت قوات الفولانى السيطرة على عدة مدن من مدن الهوسا . وفى عام ١٨٠٥ سقطت امارة زاريا فى يد محمد بللو بن عثمان بن فودى وتبعتها عدة امارات من امارات الهوسا حتى دانت معظم مدن الهوسا للشيخ عثمان وأتباعه .

وفى عام ١٨٠٨ سقطت مدينة الكالاوا عاصمة جوبير فى يد قوات الفولانى وتبعها اعتراف حكام الامارات المجاورة بالولاء للشيخ ، وهكذا أصبحت تحت سلطة الشيخ عثمان وأتباعه امبراطورية شاسعة بلغت مساحتها حوالى ١٨٠٫٠٠٠ ميل مربع ويسكنها حوالى عشرة ملايين نسمة .

---

(١٣) انظر نص الوثيقة فى Journal of African History Vol. II (1961) PP. 235 — 243

(١٤) Panikkar, Madhu : The Serpent and The Crescent P. 175.

ووجد الشيخ انه من الصعب أن يحكم هذه الامبراطورية الشاسعة حاكم واحد فقسمها الى قسمين :

١ ـ شمالي شرقي ـ عين ابنه محمد بللو للاشراف عليه •

٢ ـ القسم الجنوبي الغربي ـ عين أخاه الأصغر عبد الله بن فودي للاشراف عليه •

أما الشيخ فقد انسحب منذ عام ١٨١٢ من الحياة السياسبة وتفرغ للنصح والارشاد والتأليف حتى توفى فى عام ١٨١٧ •

وكانت مدينة سوكوتو هي العاصمة الرسمية لهذه الامبراطورية قد تولى الحكم والادارة فى هذه الامبراطورية أبناء الشيخ واستمروا طوال قرن كامل من الزمان تقريبا يحافظون على حدود الدولة ويعملون على نشر الاسلام وتطبيق الشريعة الاسلامية ـ حتى أخذت القوات الاستعمارية الأوربية تطبق على المنطقة ، وانتهى الأمر بامتداد النفوذ البريطانى الى هذه الجهات فسقطت سوكوتو العاصمة فى يوليه ١٩٠٣ فى يد القوات البريطانية ودخلت امبراطورية الفولانى ضمن ما أطلق عليه اسم (محمية نيجيريا الشمالية) (١٥) •

---

(١٥) لمن يريد تفاصيل هذه الأحداث يرجع الى :

عبد الله عبد الرازق براهيم (دكتور) : الاسلام والحضارة الاسلامية فى نيجيريا (١٩٨٤) •

وقد بلغ عدد حكام دولة سوكوتو فى الفترة من ١٨١٧ الى سقوط الدولة عـام ١٩٠٣ أحد عشر خليفة • على أن هـذه الدولة التى أقامها عثمـان بن فودى وان كانت قد سـقطت فى عام ١٩٠٣ فان المبادىء التى غرسها والتى قامت عليها الدولة لم تمت بانتهاء الدولة ، فقد ساعدت الحركة الاصلاحية الفولانية على ازدهار الحضـارة العربية وعلى نشر وترسيخ المبـادىء الاسلامية فى غرب افريقيا ، وبذا كان القرن التاسع عشر عصر ازدهار الثقافة العربية فى هذه البلاد ، وصارت مراكز العلم بهذه البلدان أماكن يلجأ اليها الراغبون فى المزيد من الثقافة العربيـة من مختلف بلدان القـارة ، هـذا بالاضافـة الى أن النظـام الادارى (١٦) الذى اتبعته دولة سوكوتو والذى حاول الحكام فيه أن يطبقوا الشريعة الاسلامية وما كان متبعا فى البلاد العربية كمصر وغيرها من البلاد الاسلامية ــ أصبح نظاما راسخا فى نفوس الناس واعتادوا عليه حتى أن بريطـانيا بعد أن وضعت قبضتها على هذه البلاد وجدت من الأيسر أن يستمر الهيكل العام للنظام الادارى الذى كان سائدا كما كان دون تغيير جذرى طالمـا أن النظام لا يتعارض مع سياسة بريطـانيا الاستعمارية فى هـذه البـلاد •

---

(١٦) عن النظـام الادارى ـ ونظـام القضـاء وغيره فى دولة سوكوتو يرجع الى :

عبد الله عبد الرازق (دكتور) : نفس المرجع السابق •

٢ ـ حركة الشيخ احمدو لوبو :

هى حركة اسلامية أخرى قام بها أحمدو لوبو أحد اتبـاع الشيخ عثمان بن فودى فى منطقة ماسينا على نهر النيجر الأعلى لكنه رفض أن يخضع لسلطة دولة سوكوتو وأعلن نفسه أميرا للمؤمنين ، وكان الهدف من الحركة أيضا محاربة الوثنية التى كانت لاتزال منتشرة فى هـذه البلاد وتدعيم مبادىء الاسلام الصحيح ونشر الثقافة العربية الاسلامية بين القبائل فى النيجر الأعلى .

وقائد هذه الحركة الشيخ أحمدو لوبو ينتمى الى احدى العشائر الفولانية المسلمة التى استقرت فى منطقة ماسينا . وهناك خلاف حول تاريخ ولادته لكن من المعروف أنه بدأ نشاطه فى دعوة الناس للتمسك بالدين الاسلامى وتعاليمه فى أواخر القرن الثامن عشر حوالى عام ١٧٩٧ م ، وكان قد انتقل الى مدينة جنى التى كانت فى ذلك الوقت من مراكز الثقافة الاسلامية المزدهرة حيث تعمق فى علوم التفسير والفقه وعلوم الدين الأخرى وأصبح من أتباع الطريقة القادرية التى انتشرت على نطـاق واسع فى غرب افريقيا (١٧) .

---

(١٧) من تاريخ حياته انظر :

Ajayo and Crowder, M. : History of West Africa Vol. II P. 15.

وبالقرب من مدينة جنى بدأ يعلم ويدعو الشباب للتمسك بمبادىء الدين والبعد عما ينهى عنه ، واستمر يعظ الناس لمدة تقرب من عشرين عاما ، وهاجم الحكام والعلماء الذين يتهاونون فى تطبيق الشريعة الاسلامية . وحين وصل العداء بينه وبين حاكم جنى لدرجة ان تآمر الحاكم على قتلة اضطر للهرب مع بعض أتباعه الى مدينة سوى (Soy) ، ولما اشتد ساعده وكثر عدد أتباعه هاجم جنى ؛ وتمبكت ، وكرنارى ، واستطاع بذلك أن يؤسس دولة شاسعة الارجاء فى هذه المناطق الهامة بغرب افريقيا . وأسس فى عام ١٨١٥ عاصمة جديدة لدولته أطلق عليها اسم مدينة (حمد الله) .

وحاول أن يدير شئون دولته حسب الشريعة الاسلامية فقسمها الى امارت عين أميرا لادارة كل منها ، وأنشأ بيتا للمال ، ووضع نظاما اقتصاديا وفق الشريعة الاسلامية ، وأوجد الى جانبه مجلسا استشاريا من العلماء ، كما أنشأ المدارس لتحفيظ القرآن ولنشر الثقافة الاسلامية . وقد اعتبر أحمد ولوبو نفسه معبود العناية الآلهية لانقاذ المجتمع الاسلامى فى غرب افريقيا من الانحراف عن الاسلام .

ومات الشيخ أحمدو فى عام ١٨٤٤ وخلفه ابنه أحمدو الثانى أو أحمدو شيخو ــ كما كان يعرف ــ وقد حكم حتى عام ١٨٥٢ ثم خلفه ابنه أحمدو الثالث (أى حفيد أحمدو لوبو)

وقد استمر أحمدو الثالث قرابة العشر سنوات فى ادارة شـئون الدولة حتى خضعت لقوات الحاج عمر التكرورى فانتهت بذلك دولة ماسينا التى قامت وازدهرت فى غرب افريقيا قرابة النصف قـرن .

٣ ـ حركة الحـاج عمر التكرورى :

ولد الحاج عمر فى عام ١٧٩٧ فى قرية حلوا على الحـدود السنغالية الموريتانية الى الشرق من مدينة سان لويس ، وهو ينتمى الى أسرة متدينة ، وتلقى تعليمه على يد والده ، ثم قـام بجولة فى عام ١٨٢٦ زار فيها عدة مدن فى غرب افريقيا ـ فزار فاس . ومراكش حيث تتلمذ على الشيخ أحمـد السنغالى أحد شيوخ التيجانية ، وارتبط بهذه الطريقة التيجانية وسافر الى القاهرة حيث أقام بها فترة اتصل فيها باتباع الطريقة الخلواتية احدى فروع الطريقة التيجانية ثم عاد أخيرا لغرب افريقيا .

وبعد عودته التف حوله عدد كبير من تلاميـذه ومريديه فكون جيشا مسلحا بالأسلحة الحديثة التى اشتراها من الأوربيين الذين كانوا يفدون بأسلحتهم لساحل افريقيا الغربية ، وبهذا الجيش استطاع الحاج عمر أن يخضـع عدة مناطق من مملكة البمبارا ، ومنطقة سيجو وغـيرها من المناطق التى كانت تابعـة للشيخ أحمدو الثالث حفيد أحمدو لوبو ، واصطدم الشيخ عمر

بالفرنسيين الذين كانوا يتوغلون فى غرب القـارة من منطقـة السنغال (١٨) .

وقد توفى الحاج عمر فى عام ١٨٦٤ تاركا ابنه أحمدو الشيخ ليخلفه فى حكم هذه الامبراطورية الشاسعة ، فقسم الامبراطورية الى أربعة أقسام عهد بحكم كل قسم منها لقريب من أقاربه . لكن الفرنسيين أخذوا يتوغلون فى داخل القارة من الغرب خاصة بعد أن أدى مؤتمر برلين ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ الى التكالب الاستعمارى على القارة ، واصطدموا بقوات التكرورى وقضوا على هـذه الامبراطورية التى كانت تقف حائلا دون تقدمهم شرقا ـ وهكذا انتهت امبراطورية الحاج عمر .

ونلاحظ ان هذه الحركات الاصلاحية تشابهت فى عدة مسائل كما اختلفت فى خصائص اخرى :

١ ـ فقد اتحدت الحركات الثلاث فى أن هدفها الأساسى كان تخليص المجتمع الاسلامى فى غرب افريقيا من الشوائب : فقد هال المصلحون فى غرب افريقيا أن البدع والخرافات لا تزال

---

(١٨) عن المعارك ضد الفرنسيين انظر :
Crowder, M. : West Africa Under Colonial Rule.

منتشرة فى هذه المناطق من القرن التاسع عشر على الرغم من دخول الاسلام هذه الجهات وانتشاره فيها من سنوات عدة .

٢ — تثقف القائمون بهذه الحركات ثقافة دينية وتأثروا بما كان فى الشرق الاسلامى ومصر بالذات من ثقافة دينية ومن علوم ومعارف ، وقد قدر لبعضهم أن يزوروا القاهرة وأن يتصلوا بالأزهر ورجاله ، ومن يقدر له ذلك تأثر بالأزهر ورجاله تأثيرا غير مباشر . فأثر الأزهر واضح فى كتاباتهم وفى مبادئهم وفى دعوتهم رغم الخلافات الهامشية بين مبادىء الحركات الاصلاحية المتعددة .

٣ — ترتب على الحركات الثلاث نشر الدين الاسلامى ومبادئه والثقافة العربية على نطاق واسع بين القبائل والأفراد فى غرب افريقيا .

٤ — كان الهدف من هذه الحركات هو اصلاح أوضاع المسلمين فى هذه البلاد ونشر الاسلام بين الوثنيين بها — لكن أدت حركات الجهاد التى قادها هؤلاء المصلحون الدينيون الى الاصطدام بالسلطات الحاكمة واقامة امبراطوريات اسلامية فى غرب القارة .

٥ — اصطدمت هذه الحركات بالمستعمرين الأوربيين الفرنسيين والانجليز وغيرهم الذين كانوا قد اتجهوا بعنف وشدة

خاصة بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ الى نشر نفوذهم بأسرع ما يمكن على أوسع رقعة ممكنة من القارة .

٦ ـ كان رواد هذه الحركات كلها من الصوفيه سواء أكانوا من أتباع الطريقة القادرية أم التيجانية ، وقد ساهموا عن قصد أو غير قصد فى نشر مبادىء الطريقة التى يعتنقونها فى المناطق التى امتد نفوذهم اليها .

٧ ـ اعتمدت الحركات الثلاثة على عامة الشعب من الفلاحين والرعاة والتجار وغيرهم بينما اصطدمت بالحكام الذين رأوا فى هذه الحركات وما تمثله من قوة وتجمع حول زعيم واحد ما يهدد سلطانهم ولذا ناصبوها العداء .

٨ ـ هذه الحركات التى أعطينا أمثلة لها فى غرب افريقيا لم تكن الا صورة من صور الصحوة التى شهدها المشرق العربى والتى كانت تهدف لدعوة المسلمين لوقفة يراجعون فيها أوضاعهم ليحكموا على مدى ملاءمتها لما كانت عليه أوضاع المسلمين وحياتهم فى فجر الاسلام فهى فى الحقيقة جزء من الحركات الاصلاحية فى العالم الاسلامى التى كان هدفها الأساسى محاربة البدع والعادات الضارة التى شاعت بين الناس .

٩ ـ من الآثار الهامة التى ترتبت على هذه الحركات والتى بقيت قائمة فى المجتمعات الافريقية رغم الاستعمار الأوربى

النظم التى قامت فى هذه الامبراطوريات الاصلاحيه والتى وجهت هــذه المجتمعات فى مختلف النواحي الاداريــه والاقتصــاديه والمــاليه والقضائيه للسير حسب ما تمليه الشريعه والمبــادىء الاســلامية (١٩) •

وقــد حاول الحـــكام المصلحون فى الامبراطوريات التى اقاموها ان يقلدوا بقدر استطاعتهم النظم والاتجاهات التى كانت سائدة فى البلاد الاسلاميه الاخرى ومصر على وجه الخصوص ، كما استقدموا المهندسين المعماريين من البلاد الاسلامية الأخرى لبناء القصور والمساجد والمدارس التى ألحقت بها على نسق ما كان شائعا فى الشرق الاسلامى (٢٠) •

١٠ ــ ولعل من المهم أن نشير الى اهتمام المصلحين من رواد هذه الحركات بمجالس العلم والعلماء والى الحلقات التى كانوا يعقدونها لتبصير الناس بمبادىء دينهم وشرح ما كان غامضــا على العقول والأفهام •

ولعلنا نجد فى ذلك صــورة لمــا كان يحدث فى أروقــة الأزهر من دراسات وتعاليم وتوجيه •

---

(١٩) للتفاصيل من هذه النظم يرجع الى بحث
Johnston, Marion : Economic Foundations on an Islamic Theocracy (Journal of African History ... X Vii, 44) 1976).

(٢٠) نعيم قــداح : افريقيا الغربية فى ظل الاسلام (دمشق ١٩٦٠) ص ٤١ •

الفصل الخامس

دور الأزهر فى الكفاح الوطنى فى مصر وصدى ذلك فى باقى الأقطار الافريقية

محتويات الفصل :

- موقف الأزهر من الاحتلال الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨ .
- موقف الأزهر فى الفترة الى أعقبت خروج الفرنسيين من مصر .
- دور علماء الأزهر فى تولية محمد على حكم مصر ومساندته ، وموقف محمد على منهم .
- الأزهريون وحركة التطوير الحديثة (رفاعة الطهطاوى) .
- الأزهريون والثورة العرابية .
- الأزهريون وثورة ١٩١٩ .
- الأزهريون وثورة ١٩٥٢ .
- صدى ذلك فى باقى الأقطار الافريقية .

كان زعماء الأزهر هم ملاذ الشعب المصرى خاصة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ــ فقد كان الشعب يلوذ بهم لرفع المظالم عنه كلما حاق به ظلم أو طغى حاكم ، وكانت لهم من هيبتهم ومن نفوذهم ومن علمهم واحترامهم ما يؤهلهم للقيام بهذه المهمة وما يجعل الحكام يحسبون لهم آلف حساب ويقدرون تدخلهم لصالح الرعية •

ولايمكن أن تتتبع باسهاب موقف الأزهر ورجاله من الأحداث السياسية التى آلمت بمصر ، فكفاح الأزهر هو تاريخ كفاح أمة بأسرها ــ لكن نشير بسرعة الى بعض هذه المواقف والى صداها فى أنحاء أخرى من القارة الافريقية •

١ ــ دفاع الأزهر عن حقوق الشعب المصرى :

كان للأزهر فى مختلف العهود دور طلعى فى مساندة الكفاح القومى والدفاع عن حقوق المصريين ، فقد حدث ان وقع

ظلم من بعض رجال محمد بك الألفى على الفلاحين فى بلبيس ولجأ هؤلاء الى الشيخ الشرقاوى شيخ الأزهر فعقد اجتماعا فى الأزهر واتخذ العلماء المجتمعون عدة قرارات دفاعا عن حقوق الشعب منها :

(أ) يجب ألا تفرض ضريبة الا اذا أقرها الشعب .

(ب) أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم .

(جـ) ألا تمتد يد ذى سلطان الى فرد الا بالحق والشرع . وهذه الوثيقة أشبه ما تكون باعلان حقوق الانسان (١) .

٢ ـ موقف الأزهر من الاحتلال الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨ :

كان بونابرت يدرك ما لعلماء الأزهر من مكانة فى نفوس الشعب المصرى ، ولذلك حاول منذ البداية التقرب اليهم واتخاذهم وسطاء بين الفرنسيين وجماهير الشعب المصرى ، خاصة أن نابليون ادعى منذ وطأت قدماه أرض مصر أنه يحترم القرآن الكريم والدين الاسلامى وأن فرنسا صديقة السلطان العثمانى وحليفة المسلمين (٢) .

---

(١) محمد عبد الله ماضى وآخرون : الأزهر فى ١٢ عاما ص ٢١ .

(٢) انظر ما جاء بهذا الخصوص فى منشوره الى المصريين الذى كتبه وهو لايزال يعرض البحر على ظهر البارجة أوريان .

والدليل على تقدير نابليون لعلماء الأزهر والدور الذى يمكن أن يلعبوه انه بمجرد دخوله القاهرة فى ٢٤ يوليو ١٧٩٨ أمر بانشاء ديوان القاهرة من تسعة أعضاء كانوا جميعا من علماء الأزهر ، وقد عهد لهذا الديوان بالادارة المحلية لمدينة القاهرة وضواحيها •

وقد أضفى بونابرت على علماء الأزهر الكثير من مظاهر الاحترام والنفوذ وكان حريصا على ارضائهم ، فكان يهتم بشغل المناصب الدينية الكبرى كمنصب نقيب الاشراف ، كما اهتم بان تتم الاحتفالات بالأعياد الدينية كالمولد النبوى الشريف وكالاحتفال بتعيين أمير الحج وكالاحتفال بمولد الامام الحسين فى مواعيدها (٣) •

وقد برز الأزهريون فى المجمع العلمى الذى أنشأه الفرنسيون وفى مقدمتهم الشيخ حسن العطار الذى تعلم على يديه عدد من العلماء المصريين (٤) •

---

(٣) لمزيد من التفاصيل يرجع الى :
عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : الأزهر جامعا وجامعة جـ ٢ (١٩٨٤) ص ٣٤٤ وما بعدها •

(٤) تأثر بالشيخ حسن العطار عدد كبير من العلماء لعل من أبرزهم رفاعة الطهطاوى كما سنشير فيما بعد ــ وعن تاريخه انظر :
صالح مجدى (بك) : كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر (القاهرة ١٣٢٠ هـ) ص ١٣٨ •

على أن هذه المحاولات لم تجد فقد كان الأزهر مركز قيادة الثورة التى اندلعت فى مصر ضد الفرنسيين ، وفى رحابه كان يجتمع الناقمون على الغزاة المغتصبين • وقد صدم نابليون لهذا الوضـــع الذى لم يكن يتوقعه فصب نار غضـــبه على الأزهر ورجـــاله •

فلم تمض ثلاثة شهور على دخول الفرنسيين القاهرة حتى قامت ثورة أكتوبر ١٧٩٨ • وقد بدأت شرارتها من الأزهر حيث تكونت لجنة من رجاله برئاســة الشيخ محمد السادات للاعداد للثورة •

وكانت بدايتها حين انطلق رجال الأزهر شيوخه وطلابه فى الشـــوارع المحيطة بالأزهر يدعون النـــاس الى الجهاد ضـــد الفرنسيين ، وصعد المؤذنون الى مآذن المساجد يدعون المسلمين الى المشاركة فى هذه الانتفاضة ضد أعداء الدين • وقد قدر عدد الذين احتشدوا فى الجامع الأزهر وفى ساحته الخارجيـــة بخمسة عشر ألف ثائر ، وتسلح الثوار بما وصل الى أيديهم من أسلحة • وقد قتل فى هذه الثورة ديبوى الحـــاكم العسكرى لمنطقة القاهرة وعدد كبير من رجال كتيبته بالاضافة الى غيرهم من الجنود الفرنسيين الذين تصادف تجولهم فى شوارع القاهرة بغير ســـلاح •

ولجأ الفرنسيون لنصب مدافعهم على مرتفعات القلعة والمقطم التى تتسلط على منطقة الأزهر وأخذت بطاريات مدفعيتهم تقصف الأزهر قصفا مركزا ومتواصلا ، كما احتلت كتائب من الجنود الطرق والدروب المؤدية الى جامع الأزهر ، وبذلك حاصرت القوات الفرنسية الثوار فى الأزهر بين قذائف المدفعية وطلقات البنادق (٥) .

وقد انتقم الفرنسيون من الثوار أشد انتقام فلم يراعوا حرمة الجامع بل عمدوا الى النهب والسلب فضلا على المذبحة التى ارتكبوها داخل الأزهر ، ودخل الجنود بخيولهم فى المسجد وألقوا بالمصاحف والكتب على الأرض وداسوا عليها بأحذيتهم وحطموا خزائن الطلبة وكسروا القناديل ، والأوانى . ولعل وصف الجبرتى لهذه الفظائع يعطى صورة عن أعمال الانتقام هذه التى أقدم عليها الفرنسيون فى الجامع الأزهر (٦) .

ولم يكتف بونابرت بالفظائع التى ارتكبت فى الأزهر أثناء اخماد الثورة فأصدر فى ٢٣ أكتوبر ــ بعد نجاح الفرنسيين فى اخماد الثورة ــ أمر بهدم الجامع الأزهر واقامة نقطة مراقبة قوية فيه وهدم المتاريس والأبواب التى تسد الشوارع المؤدية

---

(٥) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث انظر :
Rebaud, Louis et autres : Histoire Scientifique et Militaire de l'Expedition Francaise en Egypte t. IV. P. 177.

(٦) الجبرتى جـ ٣ ص ٢٦ .

اليه ، وان كان أمر الهدم هـذا لم ينفـذ لكن صـدوره من بونابرت يدل على شعوره بالدور الذى قام به الأزهريون فى الثورة ومدى التأثير الذى لهم على المصريين (٧) .

وبعد أن خمدت الثورة ذهب أعضـاء الديوان ومشايخ الأزهر الى بونابرت لمقابلته ليلتمسـوا منه الأمـان والعفو عن سكان القاهرة ويدعوه أن يأمر باخراج العساكر من الجـامع الأزهر ليتمكن الناس من الصلاة فيه فأجابهم الى طلبهم لكنه أبقى قوة من سبعين جنديا فى منطقة الأزهر للمحافظـة على الأمن والنظام .

على أن بونابرت حنث بوعده الذى قطعه لأعضاء الديوان بالعفو التام فقد اسرف الفرنسيون — بعد أن هدأت الأمور — فى الانتقام من سكان القاهرة كما ألقوا القبض على بعض علماء الأزهر الذين اتهموا بانهم كانوا المحرضين على الثورة واعتقلوهم فى دار البكرى ثم أعدموهم بعد ذلك ، وقد قدر الشيخ عبد الله الشرقاوى عددهم بثلاثة عشر عالمـا (٨) .

ولمـا اشتعلت ثورة القاهرة الثانية فى ٢٠ مارس ١٨٠٠ فى عهد قيادة كليبر للحملة بعد مغادرة بونابرت للبلاد طلب كليبر

---

(٧) الشناوى : مرجع سابق ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٨) عبد الله الشرقـاوى : تحفـة الناظرين عمن ولى مصر من الولاة والسلاطين (١٢٨٦ هـ — ١٨٦٩) ص ٥٥ .

من علمـــاء الأزهر أن يكونوا سفراء بينه وبين الجمـــاهير على أساس أن تنتهى الثورة فى مقابل أن يعطى أهل القاهرة أمانا ، ولمـــا لم يصل الطرفان الى اتفاق واستمرت الثورة قام الفرنسيون باخمادها بالقوة .

وفرض كليبر على المصريين غرامة مالية كبيرة وخص علماء الأزهر بنصيب كبير من هذه الغرامة ولم ينج من تعذر عليه دفعها منهم من التعذيب (٩) .

ولمـــا حدث حادث اغتيال كليبر فى ١٤ يونيو ١٨٠٠ وثبت أن القاتل سليمان الحلبى كان طالبا سابقا فى الأزهر ، وبأنه قبل تنفيذ عملية الاغتيال كان مقيما فى رواق الشام بالأزهر ثلاثين يوما ـ ثارت الشكوك حول علماء الأزهر وشيوخه وطلابه .

وجرت التحقيقات لمعرفة هل كان منهم من يعلم بنية القاتل. وازاء هـــذه الاجراءات المستمرة والمهينة من السلطات الفرنسية قبل شيخ الأزهر ورجـــاله أن يغلق الأزهر منعا لاثارة الريبـــة والشكوك فى رجاله . وظل مغلقا حوالى العام فلم يفتح الا قبيل جلاء الفرنسيين عن مصر .

وفى الفترة التى كانت فيهـــا أبواب الأزهر مغلقـــة لجـــأ

---

(٩) انظر ما ذكره الجبرتى جـ ٣ ص ١٥٠ جـ ٤ ص ١٩٢ عما لاقاه الشيخ محمد السادات من صنوف التعذيب .

الفرنسيون الى اعتقال شيخ الجامع الأزهر عبد الله الشرقاوى وعدد كبير من علمائه فى القلعة وقضوا فى المعتقل ما يقرب من مائة يوم (١٠) .

كما أن التحقيقات التى أجراها الفرنسيون أثبتت ان أربعة من طلبة الأزهر كان القاتل قد أفضى اليهم بعزمه على قتل القائد الفرنسى فحكم عليهم بالاعدام ونفذ الحكم فى ثلاثة منهم أما الرابع فنجح فى الهرب (١١) .

٣ ــ موقف الأزهر فى الفترة التى اعقبت خروج الفرنسيين من مصر :

كانت الفترة التى تلت خروج الفرنسيين من مصر فى عام ١٨٠١ حتى تواية محمد علي الحكم فى عام ١٨٠٥ فترة فوضى وتطاحن بغرض الوصول للحكم بين المماليك والعثمانبن والانجليز .

وقد لعب الأزهر ورجاله دورا هاما فى هذه الفترة من تاريخ مصر ــ فكان علماء الأزهر يتوسطون دائما بين الحكام والمحكومين لرفع المظالم عن الشعب خاصة أن هذه الفترة

---

(١٠) انظر ما كتبه الشيخ عبد الله الشرقاوى عن فترة الاعتقال هذه مرجع سابق ص ٥٨ .

(١١) الجبرتى جـ ٣ ص ١١٧ ــ ١٢٣ .

شهدت الكثير من أعمال العبث التى كان يقوم بها الجنود الذين يجلبهم العثمانيون لمحاولة تثبيت سلطانهم فى مصر ، وكان الشعب دائما يلوذ بعلماء الأزهر لوقف الاعتداءات المتكررة عليه ، فبالاضافة الى اعتداءات الجنود كان الولاة العثمانيون يفرضون الضرائب الباهظة المتكررة لرفع رواتب الجند المتأخرة والتى عجزت الدولة عن دفعها ـ فكان الناس يلوذون بالشيخ الشرقاوى والسيد عمر مكرم نقيب الأشراف وغيرهما من العلماء لرفع الظلم عنهم .

هذا بالاضافة الى الدور الذى لعبه المماليك الطامعون فى استعادة ما كان لهم من نفوذ وسلطة قبل مجىء الفرنسيين لمصر .

ونشير فى هذا المجال الى أن محمد على باشا استطاع وسط هذه الظروف والمعاناة التى كان يعانى منها الشعب المصرى أن يتخذ من علماء الأزهر ركيزة لتحقيق مآربه اذ أدرك بذكائه ما لهم من نفوذ لدى الشعب وكان بحاجة الى كسبهم الى صفه بعد أن تظاهر بتعاطفه مع الشعب فى محنته وأنه ينأى بجنوده عما يمس مصالح المصريين المطحونين مما مهد الطريق لوصوله لحكم مصر .

٤ ـ دور علماء الأزهر فى تولية محمد على ومساندته وموقفه منهم:

لعب علماء الأزهر دورا رئيسيا فى عزل خورشيد باشا

الوالى التركى التى كثرت مظالمه للشعب ، فقد أجمع بعض علماء الأزهر وعلى رأسهم عمر مكرم على المناداة بسقوط خورشيد وتولية محمد على واليا بالنيابة الى أن يصدر السلطان العثمانى الفرمان بتثبيت محمد على واليا على مصر .

ويعطينا الجبرتى صورة تفصيلية كاملة عن المراحل التى تمت فيها هذه الحركة الشعبية الى أن اضطر السلطان لاصدار فرمان بتولية محمد على (١٢) .

وهكذا نجح علماء الأزهر فى أن يقودوا الشعب المصرى ليفرض ارادته فيختار بنفسه الحاكم الذى يتولى أموره .

لقد ساند علماء الأزهر محمد على باشا اعتقادا منهم انه الشخص الذى اختاروه وانه سيعمل بارادة الشعب ويحقق مصالحه . وظهر موقف علماء الأزهر مرة أخرى من محمد على حين اتجهت نية السلطان لنقله الى ولاية سالونيك فى اليونان واصدر السلطان فرمانا بذلك (١٣) .

فقد كتب علماء الأزهر وعلى رأسهم عمر مكرم التماسا

---

(١٢) الجبرتى جـ ٣ ص ٣٣٠ وما بعدها .

(١٣) انظر تفاسيل هذا الحادث :

محمد فؤاد شكرى (دكتور) : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر جـ ٢ ص ٣٩٢ وما بعدها .

السلطان يرجون منه ابقاء محمد على فى مصر مما أدى الى تراجع الباب العالى واصدار فرمان بتثبيت محمد على فى ولاية مصر .

ولم يقف دعم ومساندة رجال الأزهر لمحمد على عند هذا الحد ـ فقد حدث بعد ذلك حين تعرضت مصر سنة ١٨٠٧ لحملة فريزر ـ أن دعا عمر مكرم شيوخ الأزهر وطلبته الى المشاركة فى قتال الغزاه فقاموا بحفر خندق لحماية القاهرة ـ وقد أدى هذا الموقف من علماء الأزهر وطلبته الى الهاب المشاعر الدينية لدى سكان القاهرة (١٤) .

والغريب أن محمد على بدأ يشعر بالانزعاج من نفوذ عمر مكرم ورجاء الأزهر ومن المكانة التى أصبحت لهم فى نفوس الناس ، فلما أبدى عمر مكرم ومشايخ الأزهر رغبتهم فى السفر لرشيد للمساهمة فى مواجهة الغزاة هناك استهجن محمد على هذه الرغبة وقال لهم « ليس على رعية البلد الخروج . وانما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر » وكلف محمد على عمر مكرم والمشايخ بجمع المال اللازم لمواجهة الغزاة (١٥) .

ورغم وقع هذا الموقف العجيب من محمد على تجاه عمر مكرم ورجال الأزهر فقد ساندوه ودبروا له كل ما كان

---

(١٤) الجبرتى جـ ٤ ص ٥٠ .
(١٥) انظر التفاصيل فى :
عبد العزيز الشناوى (دكتور) : عمر مكرم (١٩٦٧) ص ١٩٢ وما بعدها .

بحاجة اليه من مال ومؤن ودواب لمقابلة البريطانيين فى رشـيد والحماد لحماية القاهرة وضواحيها الى أن تم جـلاء الانجليز تماما عن الاسكندرية •

على أن محمد على استغل أمر الحملة الانجليزية ليضفى على نفسه هالة من المجد ناسيا النصر كله لنفسه متجاهلا تماما المصريين والدور البطولى الذى لعبوه فى هـذا الكفاح •

وبعد ان تخلص محمد على من آمر الحملة البريطـانية اتجه الى علماء الازهر فقد كانوا هم يريدون آن يرجع اليهم محمد على فى تصريف شئون الحكم على آسـاس آنهم هم الذين نادوا به واليا على مصر وساعدوه ليوطد مركزه فيها ، وكان قد وعدهم باستشارتهم فى المسـائل الكبيرة ـ لكن محمد على كان يدبر لاقصـاء علمـاء الأزهر وفى مقدمتهم عمر مكرم عن الحياة السياسية وعن التعرض له فيما يخص الجماهير ـ فى الوقت الذى كان يدفع بهم لمواجهـة المشـاكل الهامة التى تثير الجماهير خاصة أن النصر الذى تحقق على الانجليز فى رشـيد والحماد قد أدى لتوطيد مركزه • وقد نجح محمد على فى اثارة التنافر والتنافس على المناصب بين شيوخ الأزهر ليحقق مآربه فى التخلص من هـذه الطائفة التى تريد أن تحد من سلطاته وعلى رأسهم عمر مكرم •

ونجح محمد على بوسائله فى عزل عمر مكرم من نقـابة الاشراف ونفاه الى دمياط بعد أن وجد منه اصرارا على موقفه منه ، وأحل محله فى نقابة الاشراف الشيخ محمد السادات . تم ذلك فى اغسطس ١٨٠٩ . وقد أمضى عمر مكرم فى دميـاط ثلاث سنوات قبل بعدها محمد على تغيير اقامته الى طنطا حيث قضى بها منفيا سبع سنوات أخرى حتى آذن له محمد على بالعودة الى القاهرة والاقامة فى داره بها ، ثم السفر الى الحجاز لتأدية فريضة الحج وكان ذلك فى يناير ١٨١٩ . على أنه بعد ابعـاد عمر مكرم لم يجد محمد على صعوبة فى تصفية بقيـة الزعامة الأزهرية . وأشير الى ان محمد على لجـأ مرة أخرى الى نفى عمر مكرم والمشايخ بجمع المـال اللازم لمواجهة الغزاة (١٥) . طاعنا فى السن وذلك اثر حركة تذمر وسخط من المصريين بسبب فرض محمد على ضرائب جائرة وظن محمد على انه لابد أن تكون لعمر مكرم يد فى ذلك ، وقد انتقل عمر مكرم الى جوار ربه فى نفس العام أى فى عام ١٨٢٢ .

٥ ـ الأزهريون وحركة التطوير الحديثة :

لابد من الاشارة ونحن بصدد الحديث عن دور الأزهر الريادى فى مصر ثم انتقـال هـذه الأثـار للدول الافريقيـة الأخرى ـ الى أن الأزهريين كانوا ضمن أول بعثات تعليمية أرسلت الى الأجنبيـة فى عصر محمد على ـ فقد برزوا فى

مقدمة المثقفين ، وكان لهم دور كبير فيما بعد فى تطوير التعليم بالأزهر الشريف ، وفى مقدمة هؤلاء رفاعة الطهطاوى . وقد جاء الى الأزهر لطلب العلم فى سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٧ م) وقضى فى الأزهر زهاء ثمانى سنوات وقد سافر الى باريس فى يوليه سنة ١٨٢٦ وعاد الى القاهرة من باريس فى أواخر سنة ١٨٣١ حيث عمل مترجما فى مدرسة الطب ، وانتقل بعد ذلك الى مدرسة المدفعية (الطوبجية) وأسندت له بعد ذلك ادارة مدرسة الألسن .

وبعد الغاء مدرسة الألسن فى عهد عباس أرسل رفاعة للسودان لانشاء مدرسة فى الخرطوم ، وقد ظل رفاعة فى السودان حتى نهاية عهد عباس فعاد لمصر فى عام ١٨٥٤ فى أوائل عهد سعيد وتوفى رفاعة فى غرة ربيع الثانى ١٢٩٠ هـ (٢٧ مايو ١٨٧٣) [١٦] .

٦ - الأزهر وثورة عرابى :

شهدت الفترة التى أعقبت حكم محمد على لمصر ازدياد النفوذ الأجنبى فيها فقد بدأت هجرة الأوربيين الى مصر فازداد عددهم فى مصر بشكل ملحوظ وتضاعفت رؤوس الأموال الأجنبية

---

(١٦) عن حياته انظر :
احمد احمد بدوى : رفاعة الطهطاوى بك (١٩٥٠) .

المستغلة فى مصر ــ وقد شجعت الأجانب على ذلك الامتيازات الأجنبية التى تمتعوا بها بالاضافة الى تشجيع الحكام المصريين للأجانب أفرادا وشركات على استغلال رؤوس آموالهم فى مشروعات حكومية وخاصة فى مصر ، ولازم ذلك القروض الأجنبية للحكومة المصرية .

وكانت مأساة هذه القروض قد بدأت فى عام ١٨٦٢ فى عهد سعيد فقد بلغ الدين العام عند وفاته ١١٫١٦٠٫٠٠٠ مليون جنيه وتضاعفت المشكلة فى عهد اسماعيل فبلغ الدين الموحد حسب المرسوم الذى أصدره الخديو اسماعيل فى ١٧ مايو ١٨٧٦ بتحويل ديون الحكومة ودين الدائرة السنية والديون السايرة الى دين واحد ٩١٫٠٠٠٫٠٠٠ مليون جنيه انجليزى (١٧) .

لكن هذه الفترة شهدت أيضا يقظة فكرية ، كما شهدت ازدهار الحركة القومية ونضجا سياسيا واضحا ، ساعد على ذلك عودة رجال البعثات التى كان قد ارسلها محمد على للخارج من أمثال رفاعة الطهطاوى ، كما ساهم فى هذه اليقظة رجال مثل جمال الدين الأفغانى (١٨) .

---

(١٧) قاموس جلاد جـ ٢ (١٩٠٠) ص ١٣٣ .

(١٨) جاء جمال الدين الافغانى الى مصر لأول مرة عام ١٨٧٠ وتردد على الأزهر واتصل به كثير من الطلبة واقبلوا عليه يتلقون بعض العلوم وسافر الى الاستانة وعاد لمصر عام ١٨٧١ وشجعه الخديوى اسماعيل على الاقامة بها

ومن تلاميذ جمال الدين الأفغانى الذين لعبوا دورا كبيرا فى اذكاء روح الثورة ضد الاستعمار والطغيان ــ الشيخ محمد عبده وقد تلقى تعليمه فى الجامع الأزهر فحصل على شهادة العالمية فى سنة ١٨٧٧ وتتلمذ على يد الأفغانى وآخذ عنه الكثير من العلوم ، وقد عمل محررا فى الوقائع المصرية ثم أصبح رئيسا للتحرير فحاول أن يستغل وضعه هذا للنهوض بمصر فى جميع النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ولما قامت الثورة العرابية أصبح من رجالها المدافعين عن مبادئها المناهضين للخديو توفيق ، والتدخل الأجنبى فى شئون مصر ، وعندما انتهت الثورة حوكم مع زعمائها وصدر الحكم بنفيه خارج مصر ، وكان فى بيروت حين استدعاء أستاذه

وكان مسكنه مكانا يجتمع فيه مع تلاميذه ومريديه فأخذ يثبت تعاليمه فى نفوس تلاميذه وكان له اثر بالغ فى نهضة العلوم والآداب بل كان له آثره الأخلاقى والسياسى . وكان من أصدقائه محمود باشا البارودى ، والشيخ محمد عبده ، وعبد الله النديم . وبعد أن تولى توفيق الحكم وانتشار روح الثورة والدعوة الى الحرية والمطالبة بالدستور فى مصر اتهم جمال الدين الأفغانى بالتحريض على الثورة فنفى من مصر وسافر الى باريس حيث لقى تلميذه الشيخ محمد عبده وهناك أصدرا جريدة العروة الوثقى لدعوة الأمم الاسلامية الى الاتحاد والتضامن والأخذ بأسباب الحياة والحضارة وانتهى به الأمر بذهابه الى الآستانة والاقامة بها حيث توفى فى ٩ مارس سنة ١٨٩٧ .

وأثر جمال الدين الأفغانى فى دفع الأزهر ورجاله الى مسايرة التطور الحضارى الحديث ــ بل أثره فى ايقاظ روح المقاومة لدى المصريين ضد التدخل الأجنبى ــ لايمكن أن ينكر .

جمال الدين الأفغاني الى باريس وهناك أصدرا فى عـام ١٨٨٤ جريدة العروة الوثقى • وقد عاد الى مصر فى عـام ١٨٨٩ حيث عين عضوا فى مجلس الأزهر فعكف على تطوير التعليم فيه فقد رأى ان الاصلاح الدينى والاجتماعى يمهدان للاصلاح السياسى، وقد واتته الفرصة للاسهام فى الأصلاح المنشود حين عين فى عام ١٨٩٩ مفتيا للديار المصرية وعضـوا فى مجلس الأوقـاف الأعلى وفى مجلس شورى القوانين •

ومن تلاميذ الأفغانى الذين لعبوا دورا هاما فى تاريخ مصر أيضا ـ عبد الله النديم الذى لقب بخطيب الثورة العرابيـة • ولد بالاسكندرية فى عام ١٨٤٥ وتلقى تعليمه بها ، وانتقل الى القاهرة حيث عمل ناظرا لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية • لكنه استقال فى عام ١٨٨١ حيث أصدر صحيفة التنكيت والتبكيت وكان يعالج فيها الموضوعات الاجتماعية والسياسية بأسـلوب ظاهره الهزل • ولمـا بدأت الحركة العرابية آمن بها وأصبح خطيبها والداعى لها ـ وبعد اضطهاد الثورة اختفى عن الأنظار وظل كذلك تسع سـنوات لكن قبض عليه بعد ذلك وحوكم ونفى الى يافا ، وقد عفا عنه عباس الثانى فعاد لمصر حيث أنشأ مجلة الأستاذ سنة ١٨٩٢ لكنه أجبر على الرحيل عن مصر مرة أخرى فى عام ١٨٩٤ وقد اضطر لقضاء بقية حياته فى الأستانة حيث توفى بها فى ١١ أكتوبر سنة ١٨٩٦ •

لقد كان للأوضاع التى تردت اليها مصر نتيجة التدخل الأجنبى والحكم الفردى المستبد آثرها فى الاحداث التى أدت للثورة العرابية ـ لكن لاشك فى أن اليقظة الفكرية والنضج السياسى وشحن أفكار الشعب بالمبادىء التى تناهض الحكم المطلق ـ هى التى دفعت المصريين للمطالبة بحقوقهم الطبيعية فى حكم بلادهم ورفضهم أن يكونو ترانا أو عقارا يورث . ودور الأزهر ورجاله فى ذلك واضح وبارز ، ونحن لانريد أن نصل الى مجاراة الذين يحاولون أن يجدوا أوجه شبه بين دور المفكرين من أمثال فولتير ، ومنتسكيو ، وجان جاك روسو ـ وبين دور المفكرين والعلماء الأزهريين ـ فى اعداد الشعب المصرى للثورة التى كان على رأسها أحمد عرابى وزملاؤه ـ لكن لاشك فى أن هؤلاء كان لهم دورهم فى الدعوة الى سيادة الأمة مصدر السلطات ومحاربة الفساد الذى كان مستشريا فى كافة نواحى الحياة فى مصر ، ولا ننسى ان قائد الثورة العرابية أحمد عرابى كان ممن تلقوا علومهم بالأزهر .

وعندما أرسلت بريطانيا وفرنسا المذكرة المشتركة الأولى فى يناير ١٨٨٢ تعرب الدولتان فيها عن تأييدهما التام لموقف الخديو من معارضته للحركة الوطنية ورغبته فى حل مجلس النواب وأعقب ذلك صدور المذكرة المشتركة الثانية فى ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ تطالب فيها الدولتان باقالة وزارة البارودى ونفى

عرابى خارج البلاد وابعاد زملائه عن مدينة القاهرة ـ وكان علماء الأزهر فى مقدمة المستنكرين لهذا التدخل الأجنبى فى شئون البلاد واجتمع الشيخ محمد عبده وبعض العلماء ووضعوا قسم الثورة الذى تعهد فيه الوطنيون بالذود عن البلاد ومواجهة التدخل الأجنبى والاحتلال وصنيعه الخديو توفيق •

ولما وضح انحياز الخديو توفيق الى جانب الانجليز الذين دبروا مذبحة الاسكندرية فى ٢١ يونيه سنة ١٨٨٢ واتخذوا منها ركيزة لضرب الاسكندرية فى ١١ يوليه فأصدر أمرا فى ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢ بعزل أحمد عرابى ـ اجتمع علماء الأزهر وأصدروا فتوى بمروق الخديو توفيق عن الدين لانحيازه الى أعداء البلاد ، وقرر المجتمعون عزل توفيق وعدم شرعية ما يصدره من أوامر وتكليف عرابى بالدفاع عن البلاد ، وقد وقع عدد كبير من كبار علماء الأزهر على هذا القرار •

وكان علماء الأزهر دعاة للثورة فى المساجد ، ولما فشلت الثورة العرابية وقبض على زعمائها كان عدد من علماء الأزهر ممن قدموا للمحاكمة وصدرت ضد بعضهم أحكام بالتجريد من الرتب والمناصب ومصادرة الأملاك (١٩) •

---

(١٩) الأزهر فى ١٢ عاما مرجع سابق ص ٢٤ •

٧ – الأزهر وثورة ١٩١٩ :

رأينا كيف ان جمال الدين الأفغانى وتلاميذه من بعده قد لعبوا دورا حاسما فى بعث روح التجديد فى الفكر الاسلامى فى مصر خاصة والعالم الاسلامى عامة •

ولما اندلع لهيب الثورة فى مصر سنة ١٩١٩ كان الأزهر المركز الذى تنطلق منه الجموع وتعود اليه لتمتلىء بالحماس ثم تنطلق من جديد لتبعث فى الجماهير روح المقاومة والشعور بالعزة الوطنية وتبعث فيهم الرغبة فى التضحية والفداء فى سبيل الوطن •

وكان منبر الأزهر مقصد الخطباء من مسلمين ومسيحيين كما اعتلته المرأة المصرية تؤجج بصوتها نيران الثورة وتوغر الصدور على المغتصبين ، وكان طلاب الأزهر هم الوقود الذى زاد لهب الثورة اشتعالا ، وقد برز فى هذه الثورة الشيخ الغاياتى أول شهيد من علماء الأزهر ، والشيخ أبو العيون والشيخ الزنكلونى والشيخ عبد الباقى سرور وغيرهم من شيوخ الأزهر وطلابه (٢٠) •

كذلك كان صحن الجامع الأزهر المكان الآمن لاجتماع الثائرين من أبناء مصر لاتخاذ القرارات الحاسمة لمواجهة

---

(٢٠) نفس المرجع السابق ص ٢٥ •

المواقف المتعنتة من الدول المحتلة ، وكان طلبتـه يمثلون أخطر العناصر التى اشتركت فى الثورة ، وقد أدركت بريطانيـا ذلك واضطرت ازاء قـوة الثورة وضراوتهـا لاصـدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وان كانت مصر حصلت بمقتضاه على استقلال مبتور ـ لكنه كان خطوة فى طريق الاستقلال الكامل الحقيقى .

٨ ـ الأزهر وثـورة ١٩٥٢ :

لم تحقق ثورة ١٩١٩ أهدافها كما رأينا ولذا كان لابد أن يستمر النضال الوطنى ضـد المحتل الذى غير من أسـلوبه الاستعمارى ليتمشى مع تطور الحركة الوطنية فى البلاد ، فمرت العلاقات بين مصر وبريطانيـا بمراحـل مختلفة اتسمت أحيانا بالعنف والتوتر وأحيانا أخرى بالهدوء ، وأسفرت أخيرا عن معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وعن الغاء المحاكم المختلطة فى مصر ـ لكن أدرك المصريون بعد ذلك أن كل هـذه المراحل لا تخرج عن كونها مسكنات وأنها لا تحقق الأحلام الوطنية ، ولذا فقد أعلنت مصر من جانبها فى ٨ أكتوبر عام ١٩٥١ الغاء معاهدة ١٩٣٦ وتبعت ذلك الأحداث التى أدت لقيام ثورة ١٩٥٢ .

ومع أن هذه الثورة قام بها الجيش لكن لاشك فى أن نجاح الثورة كان قائما على تحالف وتأييد قوى الشعب المختلفة وفى المقدمة المثقفون من رجال الأزهر وغيرهم ، فقد كان لهؤلاء دورهم الهام فى ايقاظ الوعى السياسى والاجتماعى فى مصر .

ولذلك فقد حرصت الثورة من جانبهـــا على دعم الأزهر والتمكين له وتوفير كل السبل له ليقوم برسالته على خير وجه ، كما عملت على تزويد طلابه بالعلوم والمعارف الحديثة بالاضافة الى دراستهم الدينية والعربية لتتاح لهم فرص المشاركة الفعلية فى مختلف ميادين النشاط والانتاج ، ولأجل ذلك صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى سبقت الاشارة اليه • وقد استهدفت الثورة بهذا القانون تمكين الأزهر من أداء رسالته على خير وجه بحيث يصبح الهيئة الاســلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإســلامى وتعمل على نشره ونشر اللغة العربيــة بين مختلف الشعوب •

ولتحقيق هذه الأهداف فتحت الأبواب لاعداد غفيرة من الوافدين من الأقطار الاسلامية للدراسة فى رحاب الأزهر ووفرت لهم وســائل الاقامة وذللت كافة العقبات ، فتوافــدت أعداد من مختلف الدول الافريقية من شمال القارة وغربها وشرقهـــا للتزود بالثقافة الاسلامية حتى يعودوا الى بلادهم للمشاركة فى كل مجالات الحياة ، وفى ظل القانون الجديد تعددت كليات الأزهر المتخصصة فى مجــالات العلم والمعرفــة من طب ، وزراعــة ، وصناعة ، وهندسة •

هذا بالاضافة الى البعوث الأزهرية الى مختلف البــلاد الافريقية لنشر مبادئه وتعاليمه • وقد حرص الأزهر فى وضعه

الجديد أيضا على عقد المؤتمرات العلمية والدينية ودعوة العلماء والمهتمين من مختلف الأقطار الافريقية وغيرها للحضور وللمشاركة فى بحث مختلف القضايا التى تهم العالم الاسلامى .

وقد تضاعفت ميزانية الأزهر بعد ثورة ١٩٥٢ كما أنشئت عدة معاهد دينية فى مختلف أنحاء مصر ، وأدخلت دراسة اللغات الأجنبية وطورت المناهج الدراسية بل شمل التطور الأجهزة الفنية التى تشرف على هذه الأنشطة (٢١) .

صدى ذلك فى باقى الأقطار الافريقية :

لقد كان للأزهر كما رأينا دور واضح فى الكفاح الوطنى فى مصر وقد انتقل صدى هذا النشاط الذى قام به رجال الأزهر الى أقطار متعددة فى القارة الافريقية .

والحركات الوطنية فى هذه الأقطار فى شمال القارة وغربها وشرقها كان على رأسها قادة ورواد اتصلوا بالأزهر بطريقة أو أخرى ـ نلمس هذا سواء فى الحركات التى هبت لمحاربة الاستعمار كالسنوسية فى ليبيا والمهدية فى السودان أم الحركات الاصلاحية التى قامت فى غرب القارة وقد أشرنا لبعضها من قبل

---

(٢١) لمزيد من التفاصيل يرجع الى :
الباب الثانى من كتاب الأزهر فى ١٢ عاما بعنوان الأنشطة فى الأزهر فى ظل الثورة ص ٩٧ وما بعدها ، وانظر قانون التطوير ص ١٠٢ وما بعدها .

كحركة الشيخ عثمان بن فودى وحركة جهاد الشيخ أحمدو لوبو وحركة جهاد الحاج عمر التكرورى •

وتتفق هذه الحركات فى اعتبارها الكفاح ضد المستعمر ضربا من الجهاد ، كما تتفق حركات الاصلاح فى اعتناقها الطرق الصوفية التى لعبت دورا هاما فى نشر الاسلام والثقافة العربية فى تلك المناطق بغرب افريقيا حيث وجدت هـذه الطرق نفسها أمام شعوب وقبائل لم تدخل الاسلام عن اقتناع أو أمام شعوب تعرف الاسلام اسما ، ومن ثم كان عملها الأساسى هو نشر العقيدة الاسلامية على نطاق واسع بين هذه الشعوب ، وبرز الفقهاء والعلماء سواء من الذين تثقفوا بالثقافات الاسلامية والعربية ودرسوا وتعمقوا فى الدين ثم انتقلوا الى هـذه البلاد أم من أبناء البلاد ذاتها ، وكانت هـذه الطرق الصوفية رغم اختلاف وسيلة عملها تسعى الى غاية واحدة هى الوصول بالنفس الانسانية الى درجة الكمال ، وكان التعليم الصوفى هو أحد الوسائل لتحقيق هذه الغاية المثلى (٢٢) •

كما اتفقت هذه الحركات الاصلاحية فى ضرورة العمل على سيادة المبادىء الحقيقية والتعاليم السابقة للاسلام والقضاء على البدع والخرافات التى تمس جوهر الدين ومبادئه •

---

(٢٢) حسن احمد محمود : مرجع سابق ص ٦٥ •

وقد نجحت هذه الحركات الوطنية والاصلاحيـــة نجاحا منقطع النظير فى التصدى للمستعمرين رغم أسلحتهم الحديثة ، كما نجحت الحركات الاصلاحية فى القضاء على تسلط الحكام المحليين وأقامت مجتمعات اسلامية تضم طبقة من العلمـــاء ورجال الدين حاولوا تشكيل المجتمع على أسس سليمة والقضاء على العادات والتقاليد الوثنية .

الفصــل الســادس

دور الأزهر فى نشر الثقافة والحضارة العربية فى افريقيا

محتويـات الفصـل :

- اللغة العربيــة والدين الاســلامى ركنان مرتبطان بالأزهــر •
- الأزهر حامى الدين واللغة حتى فى وسط المحن التى ألمت بالعالم العربى •
- البعثات العلمية لأوربا وحركة التجديد فى الأزهر •
- الاستعمار يحارب العربية باعتبارها ترتبط بالناحيــة القوميــة :

(أمثلة على ذلك مما أصاب اللغة العربيــة فى البلاد التى نكبت بالاستعمار الفرنسى فى شمال افريقيا) •

- الوضع بعد الاستقلال وما يحتمه من مضاعفة الجهد لاصلاح ما أفسده الاستعمار •

لم نقتصر رسالة الأزهر على الناحية الروحيـــة والوطنيـــة فحسب بل كان له فضل كبير على اللغة العربية •

فحفظ القرآن وفهم آياته ومعانيه تطلب معرفة اللغة العربية واتقانها فلغة القرآن جزء من حقيقة الاسلام ، ولذلك سارعت الشعوب التى دخلت فى الاسلام الى تعلم العربية والتكلم بهـا والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها والدعوة اليها ، فاللغة العربية والدين الاسلامى ركنان مرتبطــان بالأزهر وهو حامى العقيدة وناشر الدعوة ولايمكن أن يقوم برسالته الا بتدعيمه للغة العربية ونشرها •

ولذا فقد كان اهتمامه بعلوم القرآن وعلوم اللسان ، وعلى الرغم من قيام طائفة من المدارس والجوامع فى القاهرة ودمشق والقيروان والزيتونة وغيرها بالاهتمام بالعلوم الشرعية والأدبية فان هذه المدارس لم تسطع أن تطاول الأزهر فضـــله الخالد على

اللغة العربية فى بقائه لسانا للعلم ورباطا للمسـلمين فى مختلف الأقطار التى انتشر فيها الاسلام (١) •

فالأزهر بحكم نشأته وبيئته وموقعه الوسط بين الشرقين الأدنى والأوسط كان ملتقى المسلمين من هنا وهناك ، وموقعه فى القاهرة العاصمة الافريقية ذات الموضع الفريد ، وفى طريق الحجاج والرحالة من علمـاء أفريقيا ــ كان له دوره الفعال فى الحفاظ على اللغة العربية بل ونشرها وتعليم أصولها وقواعدها •

ورغم المحن التى ألمت بالعالم العربى نتيجة الغزو المغولى فى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) والغزو التركى فى أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ــ فان الأزهر ظل ملاذا للغة العربيـة ، ثم تجلت ريادته للحركات الوطنية فى مصر والأقطار الأخرى المناضلة فى سبيل حقها فى الحياة الكريمة ، وكان من أبنائه أعضاء فى البعثات التى أرسلت للخارج والتى عادت لتسهم فى حركة التجديد فى الأزهر •

وقد أدرك القائمون على الأمر أهميـة تطوير المنـاهج والدراسة بالأزهر وتنويعها بحيث يستطيع الراغبون فى التخصص

---

(١) أحمد حسن الزيات : كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية (نشر فى الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر ــ القاهرة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ ص ١١١ وما بعدها) •

فى مختلف فروع العلم من أبناء مصر والدول العربية والافريقية أن يجدوا فى ربوع الأزهر ضالتهم فيدرسون بالعربية ما يهمهم من هذه العلوم مع الأخذ بالجديد فى كل فروع التخصص .

ولقد أدركت الدول الاستعمارية دور اللغة فى دعم الروح القومية ولذا عمدت الى محاربة اللغة القومية واضعاف شأنها ونشر لغتها هى بين الشعوب المغلوبة . نهجت فرنسا هذا النهج فى البلاد العربية التى خضعت لها فى شمال افريقيا ، كما سارت على نفس الأسلوب فى البلاد التى خضعت لها بغرب القارة فعمدت الى نشر اللغة الفرنسية وأدابها على حساب اللغات القومية — لكن فى وسط هذا الظلام كان الأزهر ورجاله القبس الذى ينير الطريق فظهر رجال الأزهر حماة الدين واللغة العربية وظهر دور رجال الأزهر على وجه الخصوص بعد أن حصلت هذه البلاد على استقلالها وتخلصت من نير الاستعمار فكان دور الأزهريين فى نشر اللغة العربية والمساهمة فى استعادة الدول العربية والافريقية لوجهها الوطنى دورا بارزا واضحا وملموسا .

ان دور الأزهر فى نشر اللغة العربية وفى تدعيم الدراسات الاسلامية فى القارة الافريقية لا يقل بأى شكل من الأشكال أهمية عن دوره الأساسى فى نشر التعليم والمعرفة فى مصر ذاتها .

فالتأثر الحقيقى للأزهر فى خارج حدود مصر هو امتداد طبيعى للدور الأصلي داخل حدود مصر والوطن العربى • فالطلاب الأفارقة الذين يدرسون فى الأزهر يعودون الى بلادهم بعد حصولهم على قدر كبير من التعاليم والمعارف الاسلامية ويتشربون اللغة العربية فيقومون بنشر هذه المعارف فى بلادهم فى المدارس وفى المساجد وفى الجامعات وفى مواقع العمل المختلفة التى يشغلونها ، وكثير من هؤلاء الطلاب الوافدين الى الأزهر يكون لهم شأن كبير فى بلادهم عند عودتهم اليها حيث يتولون فيها قيادات سياسية وتعليمية وغيرها من الخدمات الاجتماعية المتعلقة بشئون بلادهم فيتفوقون فيها ويكون لهم تأثير كبير فى المواقع التى يشغلونها ولاشك فى أنهم يعتبرون لسان الأزهر المعبر فى تلك البلاد وصورته المشرقة وصوته المدوى بتعاليم الاسلام وبمبادىء وأصول اللغة العربية •

وبالاضافة الى ذلك كانت هذه الوفود الطلابية تعمل على توثيق الصلات بين الأزهر وبين سائر الأمم الافريقية التى وفدوا منها ، فهم حلقة الوصل وفى نفس الوقت لهم دورهم فى نشر الدين الاسلامى وفى نشر اللغة العربية بين أبناء وطنهم •

واذا وضعنا فى الاعتبار أن معظم هذه الدول الافريقية باستثناء دول الشمال الافريقى دول تتعدد فيها اللغات واللهجات

وكثير منها لغات غير مكتوبة ، كما أن اختلاف اللغات واللهجات يجعلها فى حاجة للغة واحـدة لغة التفاهم التى يعرفهـا الكل ويتخاطبون بها ــ يمكن أن ندرك الدور الذى يمكن أن تلعبه اللغة العربية فى الربط بين هـذه الدول والشعوب وفى توثيق الصلات بينها ، وفى ايجاد مبادىء سامية واحدة وأهداف مشتركة يمكن أن تسعى اليها هذه الشعوب .

ودور الأزهر لا يقف عند حفظ الثقافة العربية وحمايتها من التيارات التى تعرضت لها فى مختلف العصـور ــ بل انه يتعدى ذلك الى العمل على نشر هـذه اللغة وتوسيع نطاقهـا ومضاعفة اعداد المتحدثين بها .

ولقد تأثرت المجتمعات التى عرف أفرادها اللغة العربية ــ بآداب هذه اللغة وبمعانيها وبألفاظها وتراكيبها وقواعدها وظهر ذلك جليا فى أكثر من مجال .

ظهر مثلا فى اللغة السواحلية التى انتشرت فى شرق القارة وقد دخلتها عدة ألفاظ عربيـة ، فالتأثيرات العربيـة فى اللغـة السواحلية واضحة كل الوضوح .

ولا يقتصر الأمر على هذه التأثيرات ــ لكن الأثر الثقافى والاجتماعى والحضارى للعرب فى شرق افريقيا واضح ، وقد اشار الى ذلك الرحالة الأجانب الذين جاءوا لأول مرة الى هذه

المناطق فى القرن الخامس عشر ونوهوا بما كانت عليه من حضارة ورقى ــ فقد لمسوا فيهــا كمــا يقول كوبلاند (Coupland)

مجتمعــا متحضرا لا يقل عن المجتمع الأوربى فى ذلك الوقت فى حضارته .

ويعلق كوبلاند على هــذا بقوله « انه يجب ألا نندهش لمــا يذكره هؤلاء الرحالة عن مظــاهر الحضــارة التى نقلها العرب الى شرق افريقيا ــ فان العرب كانوا فى ذلك الوقت حملة لواء الحضــارة ، فلاشــك فى أن مدارس بغداد ، والقــاهرة وتــونس ــ كانت فى القرن الثــالث عشر تفوق تلك التى فى أكسفورد أو التى فى أية مدينة مسيحية أخرى » (٢) .

وقد دهش ابن بطوطة الذى زار عدة مدن فى شرق افريقيا فى سنة ١٣٣٣ م مما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء بها ، وذكر انه شاهد فى كل مدينة زارها من مدن الساحل الافريقى الشرقى مسجدا مزينــا بالنقوش وملحقا به مدرســة يتعلم فيها الصبيان ، ولمس بنفســه أن العرب الذين استقر بهم

---

(٢) Coupland, R. : East Africa & its Invaders (London 1958) P. 39.

المقام فى شرق القارة نقلوا معهم تقاليدهم وعاداتهم فلم ينسوا ما اشتهروا به من كرم الضيافة وغيرها (٣) .

وفى غرب افريقيا ارتبطت المدارس بالنواحى الدينية ـ ففى أول الأمر كانت المدارس ملحقة بالمساجد حيث يوجد بكل مسجد غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد ، وقد قلد الافريقيون هذا النوع من المداس وصارت الزوايا الخاصة بالفرق المذهبية والدينية مدارس لتعليم الأطفال ، واشتهرت بعض المساجد بمدارسها التى صارت منارة يشع منها العلم والمعرفة ، واشتهرت فى هذا المجال مدن مثل كانو ، وسوكوتو ـ وكانت الدروس فيها تلقى طوال اليوم ولاتنقطع الا وقت الصلاة ، كما كان بعض الأساتذة يدرسون بالليل على نور الحطب المشتعل الذى تبرع به الطلاب (٤) .

ولقد أصبح الدين الاسلامى فى غرب افريقيا دينا وثقافة وفكرا لأنه ارتبط بتعليم العربية حتى يمكن فهم القرآن الكريم .

والحقيقة ان دور رجال الأزهر وتلاميذه فى نشر اللغة

---

(٣) مهذب رحلة ابن بطوطة : تهذيب أحمد العوامرى بك ، ومحمد جاد المولى (مطبعة بولاق) ص ٢٠٠ وما بعدها .

(٤) نعيم قداح : حضارة الاسلام وحضارة أوربا فى افريقية الغربية (١٩٧٤) ص ١٥٩ .

العربية فى هذه البلاد بغرب افريقيا دور واضح سواء فى المدارس القرآنية أم فى المعاهد الأخرى .

وقد ذاع صيت عدد من المعاهد وأصبحت مراكز يؤمهـا طلاب العلم ، وكانت الصلات بين هذه المعاهد والأزهر الشريف على مر العصور ، مستمرة وألحقت بالمعاهد مكتبات زودت بكثير من المؤلفات التى اهتم الحكام بشرائها من مصر والمغرب وغيرهما من البلاد الاسلامية [٥] .

ولقد ازدهرت وأثمرت الحضارة العربية فى غرب افريقيا ، ولعل ما تزخر به اليوم دور الوثائق والمكتبات فى نيجيريا وغيرها من دول غرب افريقيا من مخطوطات ومن كتب ومن مراجـع عربية تعطى فكرة عن المجتمعات فى غرب افريقيا ، والكثير من هذه الثروة اللغوية والدينية والأدبية لم تلق عليه الأضـواء الكافية بعد مع أنها بلاشك تعتبر جزءا من التراث الحضـارى العربى الذى نعتز به [٦] .

---

(٥) لمزيد من التفاصيل عن التعليم والثقافة فى غرب افريقيا يرجع الى عبد الله عبد الرازق (دكتور) مرجع سابق ص ٢٠٠ وما بعدها .

(٦) انظر عبد الرحمن زكى (دكتور) : المراجع العربيـة للتاريخ الاسلامى فى غرب افريقيا (محاضرة القيت بالجمعية المصرية للدراسـات التاريخية ـ فى ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ وطبعت فى مجلة الجمعية) .

واذا كان الاستعمار عامة والاستعمار الفرنسى بصفة خاصة قد حرص على فرض ثقافة المستعمر ولغتـــه وتقاليده ونظمـــه الاجتماعية والسياسية على الافريقيين وترتب على هـــذا اضعاف اللغات القومية والقاء ظلال باهتة على المـــاضى الحضارى للدول الافريقية ـــ فان الواجب اليوم يحتم أن تبذل جهود مضاعفة لاصلاح هذه الأوضاع •

ولعل هذا يضع على عاتق الأزهر الشريف ورجاله مسئولية أكبر فى مد يد العون لهذه الدول الافريقية فى شـــمال القارة وشرقها وغربها لتعيد مجدها الحضارى ولتواصل اتصالها بالثقافة العربية باعتبارها على الأقل أحد الروافد الهامة التى أسهمت فى تشكيل الحضارة فى هذه الأقطار •

خاتمـــة

لقد عرضنا صورة لتطور الأزهر والدور الذى لعبه على مر العصور فى نشر الدين الاسلامى واللغة العربية ليس فى مصر فحسب لكن أيضا فى القارة الافريقية ، وكيف احتضن الأزهر فى أروقته وحول أعمدته ، ثم فى حجرات الدرس وفى معامل البحث والتجريب بعد تطوير وتحديث الدراسة به ــ عشرات بل مئات من أبناء الدول الافريقية ، وكيف كان هؤلاء الدارسون رسل علم وحضارة عند عودتهم لبلادهم ، بل لمسنا كيف انتقل رجال الأزهر وبعض علمائه الى البلاد الافريقيةوتحملوا المشقات والمتاعب لينقلوا الى هذه البلاد التى رحلوا اليها قبسا من النور وليكونوا حيث حلوا شموعا تحترق لتضىء الآخرين •

ولم تقتصر رسالة الأزهر كما رأينـــا على العلم والتعليم بالمعنى الحرفى الضيق ، فقد امتد دور الأزهر ورجاله وأثرهم فتقدموا الصفوف فى مواجهة الاستعمار وكانوا ملاذ الشعب حين يقع عليه ظلم أو يتحكم فيه حاكم مستبد ، ولا غرو فقد

كان رجال الأزهر يمثلون الصفوة المثقفة التى تلهب الشعور بالظلم عند الجماهير ويعمل لها الحكام كل حساب .

وكان طبيعيا الا يقتصر أثر الأزهر هذا ودوره فى الكفاح الوطنى على مصر فقد ترددت أصداء هذا الكفاح وانتقلت الى شعوب القارة الأخرى فى الغرب والشرق والشمال فهب المثقفون فيها ممن تعلموا فى الأزهر أو تأثروا بتعليمه فى وجه المستعمرين . وكانوا قادة لشعوبهم فى حركات المقاومة الوطنية ، كما كانوا بعد طرد المستعمر الجنود الذين تكفلوا باعادة البناء واصلاح ما هدمه الاستعمار من تقاليد ومثل ومبادىء حضارية وأسس دينية وقومية .

واذا كان هذا دور الأزهر فى الماضى والحاضر فلاشك فى أن الآمال المعقودة عليه فى المستقبل أضخم وأكبر .

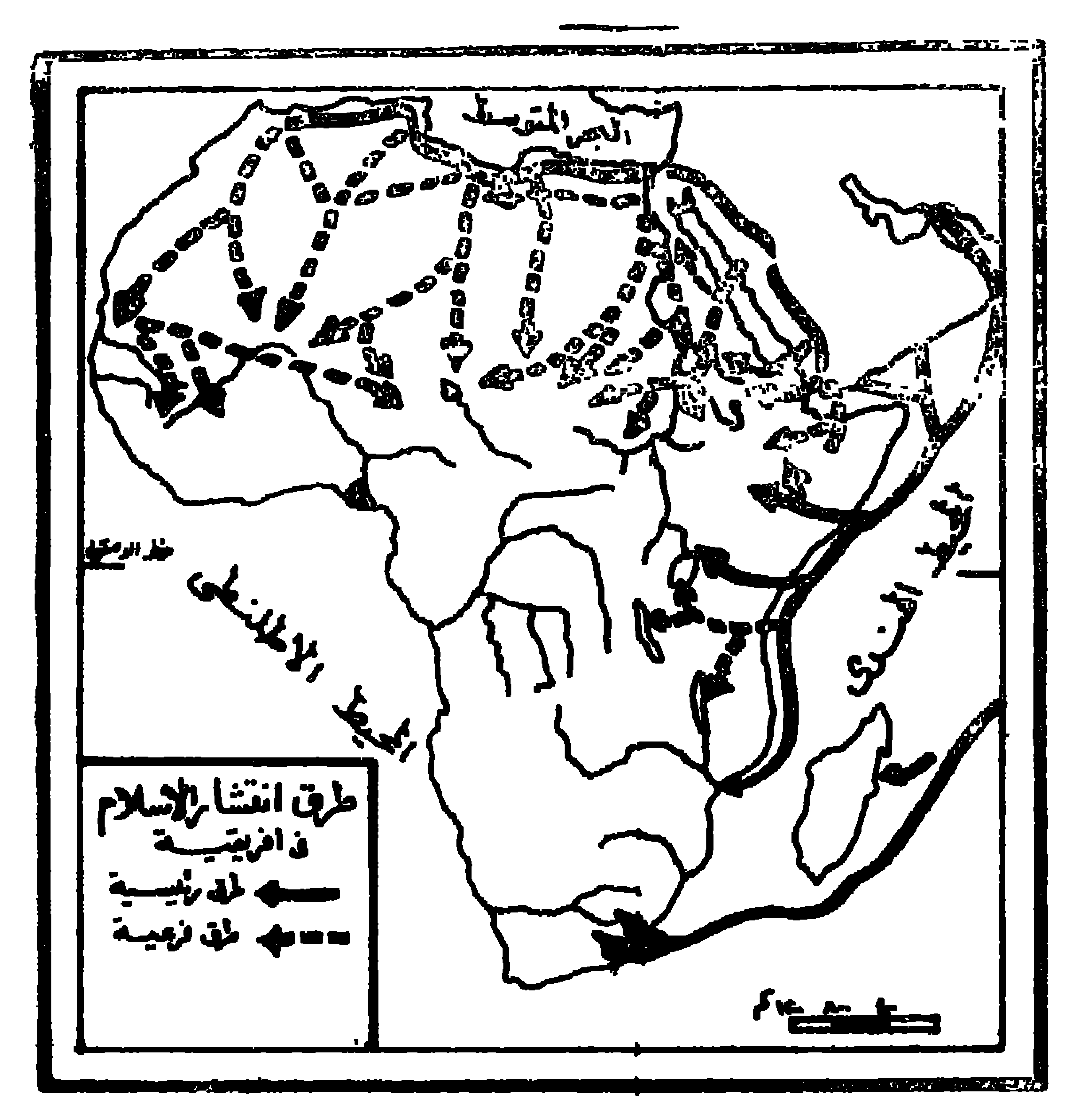
ملاحـــق

نسب المسلمين فى القارة الافريقية الى عدد السكان

الدولـــة	النسبة المئوية
١ ـ موريتانيـــا	٥ر٩٩٪
٢ ـ الســـنغال	٥ر٧٦٪
٣ ـ جامبيـــا	٥٦٪
٤ ـ مـــالى	٥٦٪
٥ ـ غينيـــا	٧٩٪
٦ ـ غانـــا	٥ر٣٪
٧ ـ فولتا العليا (بوركينا فاسو)	١٩٪
٨ ـ بنيـــين	٥ر٧٪
٩ ـ نيجيريـــا	٤٤٪
١٠ ـ النيجـــر	٧٨٪
١١ ـ ساحل العـــاج	١٩٪
١٢ ـ توجـــو	٧٪

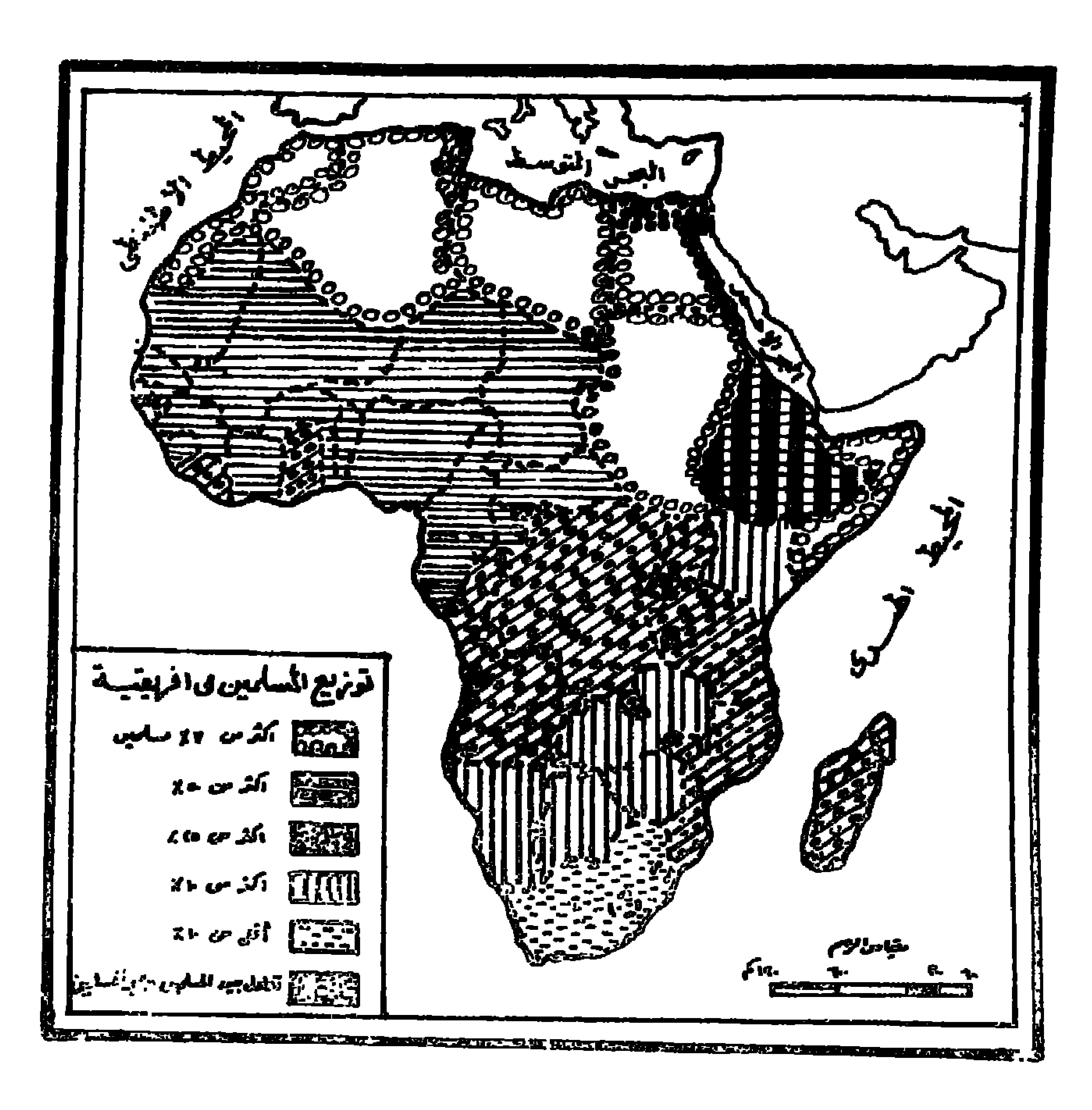
١٣ ـ الكونغو برازافيل	٧ر٪
١٤ ـ جمهورية افريقيا الوسطى	٣٪
١٥ ـ الجابون	٣ر١٪
١٦ ـ تشاد	٥٠٪
١٧ ـ الكاميرون	٥ر١٧٪
١٨ ـ مالاجاش	٤ر٤٪
١٩ ـ كومورو	٩٥٪
٢٠ ـ السودان	٧٠٪
٢١ ـ اثيوبيا	٧ر٣٣٪
٢٢ ـ ارتريا	٥٠٪
٢٣ ـ الصومال	١٠٠٪
٢٤ ـ كينيا	١٠٪
٢٥ ـ أوغندة	٤ر٥٪
٢٦ ـ تنزانيا (تنجانيقا)	٢٧٪
٢٧ ـ زنجبار	٩٨٪
٢٨ ـ مالاوى	٦ر١٠٪
٢٩ ـ زامبيا	٥ر٪
٣٠ ـ روديسيا الجنوبية	١ر٪
٣١ ـ انجولا	صفر

٣٢ ـ موزمبيــــق	٥ر٢٤٪
٣٣ ـ بتشــوانلاند	صفر
٣٤ ـ سوازى لانــد	صفر
٢٥ ـ اتحاد افريقيا الجنوبية	٢ر٢٪
٣٦ ـ ســـيراليون	٨ر٦٨٪
٣٧ ـ مصـــر	٣ر٩٣٪



شكل (۱)

عن عبد العزيز كامل (دكتور) : جغرافية الاسلام فى افريقيا



شكل (٢)

بتصرف — عن عبد العزيز كامل (دكتور) : جغرافية الاسلام فى افريقيا

مكتبة البحث

اولا ـ مصادر اصلية :

١ ـ ابن خلدون : المبتدأ والخبر جـ ٥ ، المقدمة .

٢ ـ اللائحة التنيظمية لطلبة مدينة ناصر للبعوث الاسلامية (١٩٦٧) .

٣ ـ البلاذرى : فتوح البلدان (القاهرة ١٣١٨ هـ) .

٤ ـ لائحة الطلاب الوافدين ادارة البعوث الاسلامية بالأزهر (١٩٦٨) .

٥ ـ الأزهر الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية .

٦ ـ شروط الراغبين فى الانبعاث للخارج (١٩٧٠) .

٧ ـ الأزهر ادارة البعوث الاسلامية ـ بيانات عن اعداد المبعوثين فى عدة أعوام متتالية (١٩٧١ ـ ١٩٨٦) .

٨ ـ الأزهر ، التقويم العلمى لمجمع البحوث الاسلامية منذ انشائه (١٩٧١) .

٦ – الأزهر ، النظم التعليمية فى المعاهد الأزهرية فى ظل القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٤ .

١٠ – الأزهر ، المؤتمر الأول لمجمع البحوث الاسلامية (١٩٦٤) .

١١ – الأزهر تقويم جامعة الأزهر (١٩٦٤) .

١٢ – الأزهر ، تقرير لبعثة الأزهر عن أحوال المسلمين فى اريتريا (١٩٥٤) .

١٣ – الأزهر ، تقرير لبعثة الأزهر عن أحوال المسلمين فى بلاد الحبشة (١٩٥٤) .

١٤ – المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ١ ، مقدمة (طبعة بولاق) .

١٥ – عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (١٠٩٧ – ١٨٨٠) جـ ٣ .

١٦ – على مبارك : الخطط التوفيقية (طبعة ١٣٠٤ هـ) جـ ٤ .

ثانيا – مراجع عربية ومعربة :

١ – ابراهيم طرخان (دكتور) :

امبراطورية البرنو الاسلامية (١٩٧٥) .

٢ – احمد احمد بدوى :

رفاعة الطهطاوى بك (١٩٥٠) .

٣ ـ أحمد بن الحاج كاتب الشونة :
(تحقيق الشاطر بوصيلى) (القاهرة ١٩٦١).

٤ ـ احمــد حســن الباقورى :
الأزهر بين الخليفــة المعز والرئيس جمــال عبد الناصر (١٩٦٨) (المجلد الأول من الندوة الدولية الألفية للقاهرة) .

٥ ـ أحمد حســن الزيات :
كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية (ضمن الكتــاب التذكــارى بمناســبة العيــد الآلفى للأزهر) (١٩٨٣) .

٦ ـ احمد محمد عوف (دكتور) :
الأزهر فى الف عام (١٩٨٢) .

٧ ـ ارنــولد ، تومــاس :
الدعوة الى الاســلام (ترجمة حســن ابراهيم حسن ، عبد المجيــد عابــدين ، اســماعيل النحراوى) (١٩٤٧) .

٨ ـ انــور الجنــدى :
العالم الاسلامى والاستعمار (١٩٥٨) .

٩ ـ الأشــهب محمد الطيب ادريس الســنوسى الكبــير (١٩٥٦) .

١٠ ـ حسن ابراهيم حسن (دكتور) :
انتشار الاسلام فى القارة الافريقية (١٩٨٤) .

١١ ـ حسن أحمد محمود :

الاسلام والثقافة العربية فى افريقية (١٩٦٣).

١٢ ـ حمدى السيد سالم :

الصومال قديما وحديثا جـ ٢ (١٩٦٢) .

١٣ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

العلاقات بين مصر والحبشة (١٩٧٥) .

١٤ ـ سنية قراعة :

تاريخ الأزهر فى الف عام (١٩٦٨) .

١٥ ـ شوقى الجمل (دكتور) :

تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (١٩٨٠) .

١٦ ـ شوقى الجمل (دكتور) :

المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث (١٩٧٧).

١٧ ـ شوقى الجمل (دكتور) :

تاريخ سودان وادى النيل وحضارته وعلاقاته بمصر جـ ١ (١٩٦٩) .

١٨ ـ صالح مجدى :

كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر (١٣٢٠ هـ) .

١٩ ـ عبد الحميد بخيت :

المجتمع العربى الاسلامى (١٩٦٥) .

٢٠ ـ عبد الحميد يونس (دكتور) ، عثمان توفيق :

الأزهر ـ دار الفكر العربى (١٩٤١) .

٢١ ــ عبد الرحمن زكى (دكتور) :
الاسلام فى افريقيا جـ ١ (١٩٥٨) .

٢٢ ــ عبد الرحمن زكى (دكتور) :
الاسلام والمسلمون فىشرقافريقيا (١٩٦٦).

٢٣ ــ عبد الرحمن زكى (دكتور) :
تاريخ الدول الاسلامية السودانية فى افريقيا الغربية (١٩٦١) .

٢٤ ــ عبد الرحمن زكى (دكتور) :
الأزهر وما حوله من الآثار (١٩٧٠) .

٢٥ ــ عبد الله بن فودى :
ضياء التأويل فى معانى التنزيل (د.ت ــ مطبعة الاستقامة) (بالقاهرة) جـ ١ .

٢٦ ــ عبد العزيز عبد المجيد (دكتور) :
التربية فى السودان الأسس النفسية التى قامت عليها جـ ٢ .

٢٧ ــ عبد العزيز كامل (دكتور) :
جغرافية الاسلام فى افريقيا دار الشرق العربى (د.ت) .

٢٨ ــ عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) :
الأزهر جامعا وجامعة جـ ١ (١٩٨٣) .

٢٩ ــ عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) :
الأزهر جامعا وجامعة جـ ٢ (١٩٨٤) .

٣٠ – عبد الله الشرقـاوى :

تحفة النظار فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين (١٢٨٤ هـ – ١٨٧٠ م) .

٣١ – عبد الله عبد الرازق (دكتور) :

الاسـلام والحضـارة الاسـلامية فى نيجيريا (١٩٨٤) .

٣٢ – عبد القـادر محمـود :

الفكر الصوفى فى السودان (١٩٧٥) .

٣٣ – عبد المتعـال العبيدى :

تاريخ الاصلاح فى الأزهر (١٩٥٨) .

٣٤ – عبد المجيد عابدين (دكتور) :

بين الحبشة والعرب (١٩٤٧) .

٣٥ – عبد المجيد عابدين (دكتور) :

تاريخ الثقافة العربية بالسودان (١٩٥٣) .

٣٦ – على عبد العظيم :

مشيخـة الأزهـر منـذ انشائهـا حتى الآن جـ ١ (١٩٧٨) .

٣٧ – على عبد العظيم :

مشيخـة الأزهـر منـذ انشائهـا حتى الآن جـ ٢ (١٩٧٩) .

٣٨ – فتحـى غيـث :

الاسلام والحبشة عبر التاريخ (١٩٧٥) .

٣٩ ــ كــارل بروكلمــان :
تاريخ الشعوب الاسلامية والاســلام فى القرن التاســع عشر ــ ترجمــة أيمن فارس ومنير البعلبكى (١٩٥٠) .

٤٠ ــ كلود ، هنرى ، بوتان أندريه ، لوكوست اينى :
الاستعمار الفرنسى والمغرب العربى (د.ت) .

٤١ ــ كوفى عبد الرحمــن :
الاسلام والمسلمون فى ساحل العاج (١٩٢٨).

٤٢ ــ لوثروب ، ســتوارد :
حــاضر العــالم الاســلامى (ترجمــة نجــاح توملهين) ١٣٥٢ هـ .

٤٣ ــ محمد عبد الله عنــان :
تاريخ الجــامع الأزهر (١٩٥٨) .

٤٤ ــ محمد البهى (دكتور) :
الأزهر ، تاريخه وتطوره (١٩٦٤) .

٤٥ ــ محمــد ســليمان :
دور الأزهر فى الســودان (١٩٨٥) .

٤٦ ــ محمد عبد القادر أحمد (دكتور) :
المســلمون فى غينيــا (١٩٨٦) .

٤٧ ــ محمد عبد الله ماضى (دكتور) وآخرون :
الأزهر فى ١٢ عاما (١٩٦٤) .

٤٨ ــ محمد عبد المنعم خفاجى (دكتور) :
الأزهر فى ألف عام (١٣٧٤ هـ) .

٤٩ ــ محمد فؤاد شكرى :

مصر فى مطلع القرن التاسع عشر جـ ٢ (١٩٥٨) .

٥٠ ــ محمود أبو العنين :

نبذة فى تاريخ الأزهر (١٩٤٦) .

٥١ ــ محمود الشنيطى :

قضية ليبيا (١٩٥٤) .

٥٢ ــ مصطفى بيرم :

الأزهر (١٩٠٢) .

٥٣ ــ مصطفى مسعد :

الاسلام والنوبة فىالعصور الوسطى (١٩٧٥).

٥٤ ــ منصور على رجب :

الأزهر بين الماضى والحاضر (١٩٤٦) .

٥٥ ــ نعيم قداح :

حضارة الاسلام وحضارة أوربا فى افريقيا الغربية (١٩٧٤) .

٥٦ ــ وزارة الأوقاف وشئون الأزهر :

الأزهر تاريخه وتطوره (١٣٨٣ ــ ١٩٦٤) .

٥٧ ــ محمد عمر بشير (دكتور) :

تطور التعليم فى السودان (بيروت ١٩٧٠) .

٥٨ ــ يسرى الجوهرى (دكتور) :

افريقية الاسلامية (١٩٨٠) .

٥٩ ـ يوسف أحمد :
الاسلام فى الحبشة (١٩٣٥) .

٦٠ ـ يوسف فضل :
دراسات فى تاريخ السودان جـ ١ .

ثالثا ـ دوريات عربية :

١ ـ بشير حسن ترون :
الأزهر فى القرن الثامن عشر الميلادى (مجلة الأزهر جـ ٨ ـ ذو الحجة ١٤٠٣ هـ) .

٢ ـ حسن النواوى وآخرون :
قانون تنظيم الأزهر ومنبر الاسلام (مارس ١٩٨٣) .

٣ ـ شوقى الجمل (دكتور) :
الحضارة الاسلامية العربية فى غرب افريقيا ـ سماتها ودور المغرب فيها (مجلة المناهل العربية ـ العدد السابع ذو القعدة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م) .

٤ ـ عبد الرحمن زكى (دكتور) :
المراجع العربية للتاريخ الاسلامى فى غرب افريقيا (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٦٧) .

٥ ـ عبد الله عبد الرازق ابراهيم (دكتور) :
الحركات الاصلاحية فى غرب افريقيا فى القرن

التاسع عشر (نشرة البحوث الافريقية يولية ١٩٨٣) .

٦ — **عبد الله بخيت محمد (دكتور) :**

خطورة الصراع الدينى فى افريقيا .

(مجلة الأزهر جـ ١ للسنة الستون محرم ١٤٠٨ هـ — سبتمبر ١٩٨٧ م) .

٧ — **محمد شتا زيتون :**

تأثير الأزهر فى الخارج بين الماضى والحاضر (مجلة الأزهر جـ ٩ السنة الخامسة والخمسون رمضان ١٤٠٣ هـ يونيه ١٩٨٣م).

٨ — **محمد شتا زيتون :**

تأثير الأزهر فى الخارج بين الماضى والحاضر (مجلة الأزهر جـ ١٢ السنة الخامسة والخمسون ذو الحجة ١٤٠٣ هـ سبتمبر ١٩٨٣ م) .

٩ — **محمود عاشور :**

مدينة البحوث ودورها فى حقل الدعوة الاسلامية (منبر الاسلام جمادى الأولى ، جمادى الآخرة ١٤٠٣ — يونية ١٩٨٣) .

رابعا ـ دوريات اجنبية

1. Willis, J. Ralf : Jihad Fi Sabil Allah (Journal of African History VIII No. 3 — 1967).

2. Johnston, Marion : Economic Foundations on an Islamic Theocracy (Journal of African History XVU, 44 — 1967).

3. Journal of African History — Vol. 11 (1961)

خامسا ـ رسائل جامعية :

يونان ، عبد العزيز سليمان :

رسالة الأزهر الثقافية فى بعض دول افريقيا (دراسة مقارنة (رسالة دكتوراه ـ كلية التربية جامعة عين شمس ١٩٧٢)

سادسا ـ دوائر المعارف والقواميس :

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية الجزء الثالث .

٢ ـ قاموس جلاد ج ٢ .

سابعا ـ مراجع اجنبية :

1. Ajaya and Crowder JM : History of West Africa- Vol 1 (London 1978).

2. Dodge, Bayard : Al Azhar, Ahillennium of Muslim leading, (Washington 1961).

3. Coupland, R. : East Africa and its Invaders (London 1958)

4. Crowder, M. : West Africa Under Colonial Rule.

5. Dye. W. : Moselm Egypt and Christian Abyssinia. (N.Y. 1880).

6. Fage, J.D. : An Introduction to the History of West Africa. (Cambridge 1955).

7. Felkin : Uganda and the Egyptian Sudan V.I. (London 1958).

8. Hogben : Muhammdan Emirates of Nigeria. (Oxford 1966).

9. Panikkar, Madhu : The Serpent and the grescent. (Bonbay 1965).

10. Pritchard Evans : The sanusi of Crgenaica (Oxford 1949).

11. Rebaud, Louis et autres : Histoire Scientifique et Militaire de l'Expedition Francaise.

12. Slatin : Fire and Sword in the Soudan (Translated by Colonel Wingate-London 1898).

13. Thompson Nirginia and Adolf Richard : French West Africa (London 1958).

14. Trimingham S. : Islam in the Sudan. (London 1939).

15. Trimingham, S. : Islam in Ethiopia (London 1952)

16. Wingate, Major, F.R. : Mahdism and the Egyptian Sudan (London 1891).

الفهـــرس

الصفحة

رقم الايداع ٥١٤٤ / ١٩٨٨
الترقيم الدولى ٨ ــ ١٨٦٤ ــ ٠١ ــ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

